اتصال الوعى عند وليم جيمس فى كتابه "مبادئ علم النفس"

مني محمود عثمان رشوان*

monaosmaa719@gmail.com

ملخص

للأفعال الواعية عند وليم جيمس ثلاثة أجزاء : جزء هو وعى بالموضوع الدائم نسبيًا substantive parts ، وجزء هو وعى حى بالعلاقة transitive parts بين موضوع دائم نسبيًا وآخر، وجزء ثالث هو حالات وعى غير مسماة ، والأجزاء الثلاثة إدراكية cognitive أى ندرك بها شيئاً : الأولى والثانية إدراك فعلى ، والثالثة موجودة فى صورة إمكان للإدراك ، تسمى الأولى باسم الموضوع الدائم نسبيًا substantive parts ، أما الثانية والثالثة فغير مسميان ؛ لأنه لا يوجد ما هو دائم فى الوعى متعلق بهما لتسمى باسمه.

الأجزاء الدائمة نسبياً substantive parts هى التى يمكن أن تبقى أمام الوعى لفترة ، و الخبرات أو الأجزاء الانتقالية للوعى transitive parts تعمل كحاشية fringe حول تلك الأجزاء الدائمة نسبيًا، وتوجد فى هذه الحاشية مجموعة العلاقات والأشياء التى يمكن أن ترتبط بها تلك الأجزاء الدائمة نسبيًا ، وكأنها هالة halo و مجال field تحيط بتلك الأجزاء الدائمة نسبيًا ، وتظهر بعض هذه العلاقات الآن ثم قد تظهر علاقات أخرى بأشياء أخرى فى وقت آخر، وحينها يحتفظ الدماغ بأثر العمليات السابقة ، ونجد ذلك الأثر يظهر فى الوعى فى شكل تلك الحاشية ؛لأن الوعى ليس حالات منفصلة متقطعة إنما هو متصل continuous .

وقد سمى وليم جيمس حاشية الوعى "معنى عقلى إضافى psychic overtone ، لكى يشير إلى تأثير عمليات الدماغ الضعيفة faint brain-process (تلك التى تتعلق بحالة عقلية مضت) الآن على الحالة العقلية الحالية فوليم جيمس يرى ترابط و تلازم بين عمليات الدماغ وبين الفعل العقلى mental action فالثانى هو عمل الأول ، و يتنوع بتنوعه ، و هو كالمعلول له.

ومن ثم رفض وليم جيمس تفسير الحقائق العقلية بالمنهج التركيبى synthetic method عند الفلاسفة التجريبيين، الذين يرون الوعى مركب من مجموعة من عناصر أساسية ثابتة لا

* مدرس بكلية الاداب جامعة دمنهور.

تتغير هى الأفكار البسيطة، ورأى أنهم إنما يتحدثون بلغة الأشياء لا بلغة فعل الوعى الحى ،فلم يصفوا ما وجدوه بالفعل فى الاستبطان introspection ،إنما خلطوا بين الفعل و بين موضوعه، وتصوروا الأول على نموذج الثانى .

والإحساس لا يتكرر عند وليم جيمس ، وكل إحساس يتم فى سياق جديد وفى علاقات جديدة ، وما يتكرر هو نفس الموضوع ، وليس الوعى به ، وما يحدث هو أننا نخلط بين الموضوع و الوعى به ، وهذا هو الخطا الذى وقع فيه التجريبيون empiricists ، بينما لو كانوا مخلصين لمنهج الاستبطان introspection و توقفوا عند ما يظهر لنا فى الوعى على نحو ما يظهر لنا ، لما وقعوا فى هذا الخلط .

وكان على وليم جيمس أن يميز بين المعرفة المباشرة by acquaintance التى تعرف أن موضوعًا ما موجود ، لكن لا تعرف ما هو، فلا تصفه و لا تصدر عنه حكماً أو قضية ، وبين المعرفة غير المباشرة knowledge about التى تعرف أن الشىء موجود وتعرف ما هو ، وتنشأ من تحليل حاشية علاقات الموضوع.

كلمات مفتاحية: وليم جيمس– الوعي المتصل– المعرفة– الهوية– الاستبطان

مقدمة

كتب وليم جيمس* فى كتابه "مبادئ علم النفس "Principles of Psychology الذى نشر عام ١٨٩٠ م " أن الوعى لا يظهر لنفسه على أنه مجزأ لأجزاء chopped up in bits ، ولا تصف كلمات مثل"سلسلة chain " الوعى على نحو ما يعرض نفسه بالشكل الملائم ، وليس الوعى ممفصلًا jointed ، إنه يجرى it flows، و"النهر River" و " التيار Stream" هى الاستعارة التى يوصف بها الوعى بشكل أكثر طبيعية ، وفى حديثنا فيما بعد عن الوعى دعنا نسميه "تيار التفكير stream of thought" ، أو " تيار الوعى stream of consciousness" ، أو " تيار الحياة الذاتية stream of subjective life"[(1)].

وفى ذلك يرفض وليم جيمس الذرية الحسية sensational atomism التى ترد المعرفة إلى مجموعة من ذرات و عناصر ثابتة للوعى هى الإحساسات التى تظل على ما هى عليه ، يستقبلها الإنسان وعقله صفحة بيضاء tabula rasaعند الميلاد ،

وتنقش الخبرة Experience تلك الإحساسات على هذه الصفحة البيضاء ، وعبر الزمن تترابط وتتركب تلك الإحساسات ، ويكوِّن الإنسان صورته عن العالم ، ويسمى وليم جيمس هذا الرأى "بنظرية الأفكار Theory of Ideas" و يقول عنها :" إن هدف العلم هو رد المركب للبسيط ، وفى علم النفس لدينا " نظرية الأفكار theory of" ideas الشهيرة التى تحاول وهى تعترف بالاختلاف الكبير بين ما نسميه الحالات الواقعية للعقل ، تحاول أن توضح أن هذا الاختلاف هو الأثر الناتج عن التنوعات variationsفى تركيب combination عناصر بسيطة معينة للوعى تبقى دائما ما هى ، وهذه الذرات أو الجزيئات العقلية mental atoms or molecules هى ما سماه لوك John Locke* (١٦٣٢- ١٧٠٤) " الأفكار البسيطة simple ideas"[(2)].

ومع وجود صفات البياض و البرودة مثلًا فى كرة الثلج متحدة united بلا انفصال ولا مسافة ، فنحن عندما نتأثر بتلك الكرة فإنها تحدث فينا أفكارًا بسيطة simple ideas عن هاتين الصفتين عن طريق حاستى البصر و اللمس ، وتكون تلك الأفكار غير مختلطة تماماً مثل أفكارنا عن طعم السكر و رائحة الزهرة ، وتلك الأفكار البسيطة عن البياض والبرودة فى كرة الثلج ستحدث فينا فى كل مرة نتأثر فيها بكرة الثلج .

لكن وليم جيمس يرفض كون التفكير ذرياً يتألف من مجموعة من العناصر المنفصلة ؛ لأن التفكير فعال حى active يجرى flows فى تيار stream ، و تتداخل فيه أفعال التفكير بحيث يحمل الفعل الحاضر present أثراً للفعل الماضى كما يحمل توقعاً للفعل التالى ، وذلك فى كل نبضة من نبضات الوعى a pulse of consciousness ، وفى كل حاضر خادع specious present ، كما يشتمل كل تفكير على الوعى غير الواضح vague بكل أكبر يكون هو جزء فيه ، ونحن نشعر feel بما فى هذا الكل الأكبر من أشياء وعلاقات فى الحاشية العقلية psychic fringe لفعل التفكير الحاضر، وهذا ما لا يجعل التفكير محدداً منفصلًا إنما مرتبط بتفكير آخر .

لقد ضحى التجريبيون بالجريان المتصل للتيار العقلى continuous flow of mental stream وحلوا محله الإحساسات sensations ، كمكونات وأحجار أساسية لبناء المعرفة ، ولا يجد وليم جيمس فى الاستبطان ما يبرهن على أن التفكير thought منفصل ، وعلى أن الوعى يعرض نفسه – فى الاستبطان –على أنه مجزأ لأجزاء chopped up in bits [3].

كما يرفض وليم جيمس كون الحالات العقلية متكررة recurrent لأنه "لا يوجد دليل على أن نفس الإحساس يتكرر لدينا مرتين "[4] ، وليس لنا أن نقول أن نفس السماء تحدث فينا دائما نفس الزرقة ، أو أن نفس مفتاح البيانو عند الضغط عليه سيحدث نفس الصوت ، لأن ما يتكرر هو نفس الموضوع ، وليس الوعى به ، وما يحدث هو أننا نخلط بين الموضوع و الوعى به ، وهذا هو الخطا الذى وقع فيه التجريبيون empiricists ، بينما لو كانوا مخلصين لمنهج الاستبطان introspection وتوقفوا عند ما يظهر لنا فى الوعى على نحو ما يظهر لنا ، لما وقعوا فى هذا الخلط .

<u>إشكالية و منهج البحث</u>

السؤال المحورى فى البحث هو ما طبيعة اتصال الوعى عند وليم جيمس التى ضحى بها التجريبيونempiricists كما نجدها فى كتابه "مبادىء علم النفس " Principles of psychology؟ ويتفرع عن هذا السؤال المحورى عدة أسئلة فرعية : كيف يمكن الجمع بين أكثر من موضوع واحد فى فعل وعى واحد ؟ وما الحاشية العقلية للوعى psychic fringe ؟ وما الحاضر الخادع specious present ؟ وما صلة الحاضر الخادع بالهوية الشخصية personal identity عند وليم جيمس ؟

ووليم جيمس لم يوافق على المصطلحات الشائعة مثل الحالة العقلية mental state، وحالة الوعى state of consciousness ،و الحالة الذاتية subjective condition ...إلخ للإشارة لكل حالات الوعى؛ لأنها تفتقر إلى صفة نشاط active الوعى ؛ لأن الوعى عنده يجرى ،it flows ، وهذا عكس ما وجده مع

مصطلح الشعور feeling ، ومنه الفعل "يشعر feel" الذى يدل على النشاط ، كما أن للشعور اشتقاقات أخرى مثل " بشكل حسى feelingly "" ومحسوس felt" [5] ، و"حالة الشعور feltness "، لكن الشعور feeling يُستخدم أحيانًا كمرادف للإحساس sensation بوصفه مختلفاً عن التفكير thought ، ونحن نبحث عن مصطلح يشمل الإحساس و التفكير بلا تمييز، وقد وجد وليم جيمس أن "التفكير " سيكون أفضل كلمة إذا كانت تشمل الإحساس ؛ لأنها كلمة تدل على الإشارة لموضوع غير الحالة العقلية نفسها ، وهذه الإشارة هى من ماهية الحياة العقلية – كما سيلى بيانه – لكنه اضطر للعودة لزوج من المصطلحات وهى " الشعور و التفكير feeling and thought" ؛ لأن تعبير مثل "the thought of toothache" فكرة ألم الأسنان " مثلًا لن تعبر عن الألم الحاضر الفعلى لأنه يُحس ، ومن ثم ستعبرعنه كلمة شعورfeeling، ووليم جيمس استخدم المصطلحين " الشعور و التفكير feeling and thought" كما استخدم هيوم* (١٧١١-١٧٧٦)DavidHume "الانطباع والفكرة impression and idea" لوصف خاصية واحدة للحياة العقلية وهى الإدراك cognition– كما سيتضح فى بيان الفرق بين ما نعرفه بالشعور feeling وما نعرفه بالتفكير thought .

ويحدد وليم جيمس خمس مميزات لحقيقة التفكير هذه:

١- أن كل التفكيريبدو جزءاً من وعى شخصى **personal consciousness**

٢- أن التفكير يتغير دائماً داخل ذلك الوعى الشخصى.

٣- أن التفكير يكون متصلاً continuous داخل ذلك الوعى الشخصى.

٤- أن التفكير يتعامل مع أشياء مستقلة عنه .

٥- أن التفكير يهتم بجوانب من تلك الأشياء ويستبعد جوانب أخرى.

ومن ثم يبدأ البحث بعرض بعض تلك السمات وهى: انتماء التفكير للوعى الشخصى personal consciousness ، واتصاله its continuity ، و كونه مُدرِكا cognitive*، **<u>ثم يتعرض البحث للعناصر التالية للإجابة عما طرحته الباحثة من أسئلة فى إشكالية البحث:</u>**

١-التفكير ينتمى لوعى شخصى.

٢- التفكير متصل continuous.

٣-كيف يجمع التفكير بين أكثر من موضوع فى فعل وعى واحد؟ وما الإدراك الغامض* vague perception؟

أ- الحالات أو الأجزاء الدائمة نسبياً للوعى of consciousness substantive parts والأجزاء أو الحالات الانتقالية له transitive parts of consciousness .

ب-الإدراك الغامض vague perception و حاشية الوعى Fringes .

ج -وصف اتصال الوعى عند وليم جيمس.

٤- السمة الإداركية cognitive للحالات العقلية والمعرفة المباشرة وغير المباشرة knowledge by acquaintance and knowledge about* .

أ-موضوع التفكير object of thought و "نواة الوعى المستقلة substantive kernel or nucleus".

٥-صلة المعرفة المباشرة و غير المباشرة بالهوية الشخصية identity personal .

٦-التفكير هو المفكر Thought is the Thinker والحاضر الخادع specious present .

وقد اتبعت الباحثة المنهج التحليلى النقدى المقارن فى معالجة الموضوع .

اتصال الوعى عند وليم جيمس فى كتابه "مبادئ علم النفس"

يعتمد علم النفس وهو علم وصف description وتفسير explanation حالات الوعى states of Consciousness بما هى كذلك [6] على الاستبطان Introspection ، وهو النظر إلى داخل عقولنا ، والإبلاغ عما نكتشفه فيها [7] ، وما نكتشفه فى عقولنا بلا شك هو حالات الوعى أو التفكير Thinking ، مثل أفعال الإحساس والرغبة والإدراك ... إلخ التى يصفها عالِم النفس على نحو ما هى عليه بالفعل أى على نحو ما يعى بها مباشرة و بطريقة موضوعية .

١-التفكير ينتمى لوعى شخصى:

وبوصف وليم جيمس للتفكير thinking على نحو ما هو عليه بالفعل فى الاستبطان وجد أن التفكير يتميز بعدة سمات : فهو ينتمى لوعى شخصى personal consciousness أى ينتمى لعقل معين personal mind أو لنفس معينة و لشخص يحيا فى مكان وزمان معينين محددين، فالحقيقة العقلية الأساسية عند وليم جيمس ليست هى التفكيرعامةً، ولا هذا التفكير أو ذاك، إنما هى تفكيرى أنا my thought ، " فحقيقة الوعى الكلية the universal conscious fact ليست هى وجود الأفكار و لا وجود المشاعر feelings عامةً، ولكن هى أننى أفكر I think ، أو أننى أشعر I feel "[8]، وكل تفكير هو ملك owned لشخص معين ، ولا يمكن الحديث عن التفكير بدون نفس* معينة، وأن يوجد مجرد تفكير ما a mere thought دون أن ينتمى هذا التفكير لشخص معين، فهذا أمر كما يقول وليم جيمس: " ليس لدينا وسيلة للتحقق منه؛ لأننا لا نعرف كيف يمكن أن يكون"[9] .

و فى هذا الوعى الشخصى يحتفظ كل شخص بأفكاره ، ويدركها هو وحده إدراكًا مباشرًا by acquaintance ، أما أفكار الآخرين فلا يدركها إلا إدراكًا غير مباشر knowledge about أى يتصورها conceive فقط ؛ لأن الانعزال المطلق absolute insulation بين وعى شخصى وآخر، وكثرة الوعى التى لا ترد irreducible pluralism هى السمة الأساسية للتفكير، وهى قانونه ، ولا يمكن

لتزامن أفعال التفكير، ولا لتشابهها فى الكيف والمحتوى أن تمزج أفعال التفكير معاً ، بينما يفصلها عازل انتمائها لعقول أشخاص مختلفة .

ففى داخل نفس الحجرة ومع كثرة الأفكار التى توجد بها أشعر أن بعض هذه الأفكار فقط هى ما يخصنى ؛ لأنى أشعر بالألفة warmth و القرب intimacy والمباشرة immediacy تجاهها دون غيرها ،"و يميز كل تفكير من بين كثرة الأفكار التى يمكن أن يدركها بين ما ينتمى لنفسه وما لا ينتمى لها ، حيث يشعر نحو الأولى بالألفة warmth والقرب intimacy وعدم الغربة بينما يختفى هذا الشعور تمامًا مع الثانية ، فلا ألفة و لا قرب " ، والطريقة الخاصة التى يعى فيها كل تفكير بالأفكار التى تنتمى له هى هذه الطريقة ، والوعى بالهوية الشخصية personal identity إنما هو شعور الاتصال بين الأفكار التى تغمرها suffused هذه الصفات الثلاث [10] (الألفة والقرب والمباشرة).

٢-التفكيرمتصل بطبيعته يدرك الأشياء وهى فى اتصال continuity :

ويوصف التفكير- إلى جانب كونه تفكيرًا شخصيًا بأنه تفكير متصل continuous ، فنحن نحيا الوعى كتيار لا شق crack فيه ولا تجزئة division ولا فجوات breach [11] ، ويعنى اتصال الوعى أنه يعمل كتيار stream ، وكنهرمتصل ، وأنه ليس سلسلة ذات حلقات، تم توصيلها ببعضها البعض ، إنما هو اتصال بلا تقطع ، لذلك نجد وليم جيمس يستعير لفظ "نبضة pulse " من البيولوجيا ، والنبضة هى الموجة و التيار الذى يتولد فى الشرايين من انقباض القلب ، وذلك لما فى لفظ " نبضة pulse"من دلالة على الاتصال ، يقول وليم جيمس: " إن الأشياء التى تُدرَك فى علاقة إنما تدرك من البداية فى وحدة وفى نبضة واحدة single pulse of sujectivity للذات أو للشعور أو لحالة من حالات العقل "[12] .

ويشرح لنا وليم جيمس صفة الاتصال فى الوعى بأنه حتى لو توقف الوعى مثلًا أثناء النوم – وهذه هى الصورة الأولى التى يظهرها الاستبطان لتوقف التفكير- فما زال الاتصال بين الوعى السابق على النوم والوعى بعده موجودًا ؛ لأنهما ينتميان لكل واحد هى النفس الواحدة التى تشعر باتصال الأفعال ، لأنها تألفها وتنتمى لها دون غيرها ،

ويقول وليم جيمس: "حينما يستيقظ كل من بول وبيتر فى نفس الفراش يدرك كل منهما أنه كان نائمًا، ويرجع كل منهما بذهنه لماضيه ، ويتصل بتيار واحد للتفكير من بين تيارين للوعىtwo streams of thought ، و يعلم أن هذا التيار(الواحد) كان متوقفًا أثناء النوم ، وكما أن القطب الكهربائى المدفون فى الأرض لا يخطىء طريقه إلى نظيره المدفون أيضًا – أيًا ما كان حجم الأرض المتخلل بينهما – فإن حاضر بيتر يكتشف ماضيه ولا يخطئه فيرتبط بماضى بول ، وإذا كان لبيتر معرفة بل ومعرفة صحيحة بماضى بول فهى معرفة تختلف عن معرفته بحالته وماضيه هو ؛ لأنه يتذكر حالاته ، والتذكر معرفة مباشرة بينما هو يتصورconceive حالات بول الواعية".(13)

وما يجعل الفعل الواعى الحاضر لبيتر لا يرتبط ولا يتصل إلا مع أفعال واعية معينة ماضية دون غيرها ، إنما هو شعور الألفة والقرب والمباشرة warmth and intimacy and immediacy الناتج عن انتمائها جميعا لكل واحد هو نفس واحدة ؛ ذلك لأنها أفعال قام بها بالفعل ، وبذل فيها نشاط التفكير ونشاط جسمى ، لذلك يشعر feel أنها تخصه وأنها ملكه ، بينما الأفعال الأخرى لبول فلم يقم بها ، ولم يبذل فيها نشاط لذلك فهى لا تخصه ، وهو يتصورها فقط مجرد تصور، وعلى ذلك لن يتصل بيتر إلا مع ما قام به هو فعلًا ، و هذا الشعور بالألفة warmth هو ما يمنع الفجوة الزمنية لساعات النوم من شق هذا المجتمع إلى أجزاء منفصلة ، وهذا الكل لتلك الأفعال التى تنتمى لكل واحد هو النفس الواحدة ، والنفس هنا هى الكل المتصل الذى تكون أجزاؤه أفعال الوعى الحاضرة والماضية التى تشترك فى سمة الألفة warmthحيث لا فواصل رغم الفجوة الزمنية أثناء النوم.

يقول وليم جيمس :"وتذكُر الشخص لأفعاله الماضية هو وعى مباشر يغمر موضوعه suffuse شعور الألفة warmth والمباشرة immediacy ، وهذا الأمر لا يتحقق لأى موضوع نتصوره مجرد تصور، وهذه السمة هى ما يشعر بها فكر بيتر الحالى أمام نفسه ، فهو يقول إنه متأكد جدًا من أن هذا الفعل الحالى يخصه هو ، ومتأكد أيضًا من أن أى شيء آخر يتسم بنفس السمة يخصه أيضًا ، وأى أفعال وعى

ماضية تُظهر هذه السمة لابد أن يقبلها فعل الوعى الحالى على أنها تنتمى معه لنفس واحدة ، وهذا المجتمع للنفس الواحدة هو ما لا يمكن أن تقسمه الفجوة الزمنية إلى جزئين ، وهو السبب فى أن الفكر الحاضر رغم أنه يعلم بالفجوة الزمنية إلا أنه ما زال يعتبر نفسه متصلًا مع أجزاء (أومع أفعال وعى) معينة تم اختيارها من الماضى".[14]

ومن جهة أخرى- وهذه هى الصورة الثانية التى يظهرها الاستبطان introspection لتوقف التفكير- قد نعتقد بوجود تقطع break فى تيار الوعى عند ظهور موضوع مفاجىء مثل سماع قصف الرعد thunder-clap بعد فترة سكون لكن هذا الرأى خطأ ، ويرجع وليم جيمس الخطأ فيه من جهة إلى الخلط بين فعل الوعى بالشيء وبين الشيء نفسه الذى نعيه بهذا الفعل ، كما يرجعه من جهة أخرى للنظرة السطحية للاستبطان.

فلدينا عادة راسخة للاهتمام بالحقائق التى تكشفها لنا الحالات العقلية ، وإذا ما حاولنا وصف إحدى أفكارنا بالاستبطان أهملنا الفكرة على نحو ما هى عليه ، وتحدثنا عن موضوع الفكرة ، ووصفناه بأفكارنعرفها عنه كما لو كانت هذه الأفكار و الفكرة – التى نقوم بالاستبطان لوصفها- شيء واحد مثلًا إذا كانت الفكرة هى أن " حزمة أوراق اللعب توجد على المنضدة the pack of cards is on the table" فنحن بدلًا من أن نتوقف عند الفكرة على نحو ما نحياها تجدنا نتحدث عن أنها فكرة لها جزئين : جزء يختص بحزمة الأوراق ، ولكل ورقة منها فكرة ، وبالتالى فهذا الجزء – من الفكرة – يضم أفكارنا عن الأوراق المتضمنة فى هذه الحزمة ، ويختص الجزء الثانى من الفكرة بالمنضدة ، وهو جزء يضم فكرة عن كل رجل من أرجل المنضدة ؛ لأنه لا يمكن التفكير فى المنضدة بدون أرجل.

وعلى ذلك تضم فكرة " توجد حزمة أوراق اللعب على المنضدة " أجزاء على غرار أجزاء موضوعها ، وكل جزء للفكرة يعرف جزءًا من موضوعها ، وتندمج أجزاء الفكرة و تتحد فى ظاهرها بينما هى أجزاء منفصلة حقيقةً.

وهكذا نخلط أفكارنا وهى حقائق ذاتية subjective facts بالأشياء التى تعى بها هذه الأفكار ، ومن الطبيعى أن يقع هذا الخلط ، ولكن من السهل تجنبه إذا انتبهنا إليه "[15] ، لكن الأشياء غير الأفكار، فالأشياء منفصلة منعزلة غير متصلة مع بعضها البعض ، و مجيئها وذهابها واختلافاتها لا يقطع التفكير الذى يفكر فيها ، تمامًا كما لا تقطع هذه الأشياء المكان والزمان الذى تقع فيه ، أما الأفكار فهى متصلة ، ولا توجد أى فكرة أو فعل للوعى وهو منفصل تمامًا عن الفعل الذى يسبقه والفعل الذى يليه ، إذ قد يقطع صوت قصف الرعد السكون، فننتقل من السكون إلى صوت قصف الرعد ، وهذا الانتقال ليس تقطعاً break فى التفكير "فمازال السكون السابق يزحف ويستمر فى الوعى بقصف الرعد؛ لأن ما نسمعه عندما يقصف الرعد ليس هوالرعد خالصًا وإنما

الرعد – وهو يقطع – السكون – و – يتعارض – معه ، (Thunder–breaking–upon–silence–and–contrasting–with–it)، و الشعور بالرعد على هذا النحو يختلف عن الشعور به إذا كان الرعد استمرارًا لرعد سابق " [16]، ونحن نعرف أن الرعد يلغى السكون ويستبعده لكن الشعور بالرعد هو أيضا شعوربالسكون وقد مضى لتوه ، ومن الصعب أن نجد فى الوعى الفعلى للإنسان شعوراً يتقيد بالحاضر بدون أن تكون به إشارة لأى شيء مضى من قبله أو لأى شيء يأتى بعده .

إن الرعد – فى المثال السابق– إنما هو موضوع للتفكير فى فعل حى للوعى مع أشياء أدركت قبل لحظات (أى السكون) ، ومع أشياء أخرى ستحدث بعد لحظة (استمرار سماع صوت الرعد) يجمعها كل واحد لأنها تُدرَك دفعة واحدة ، وفى فعل وعى واحد يسميه وليم جيمس " نبضة من نبضات الوعى pulse of consciousness "، حيث الاحتفاظ المستمر للماضى لتوه فى النبضة الحالية للوعى هو ما يمنع حدوث تغيرمفاجيء فى كيف فعل الوعى من لحظة لأخرى ، وبالتالى " ليس الانتقال من السكون إلى الرعد تقطعًا break وشقًا divisionفى تيار التفكير تمامًا كما أن العقدة Joint فى نبات البامبو bamboo ليست قطعًا فى

الخشب ، فالعقدة جزء من البامبو ، وفعل الانتقال من السكون إلى الرعد هى أيضاً جزء من الوعى"[17].

ومن ثم يدعونا وليم جيمس للإخلاص للمنهج التجريبى ، وأن نصف الأفكار على نحو ما هى عليه فعلًا دون خلطها بشيء ، و دون أى افتراض مسبق ، ولو التزمنا بذلك لوجدنا أننا ندرك الرعد مع ما سبقه ومع ما سيليه ، كذلك لوجدنا أننا ندرك أوراق اللعب فى علاقتها بالمنضدة ، وأن النظرة السطحية للاستبطان superficial introspective view هى التى أهملت الصلة الحاضرة بين الأفكار " فنحن لا ندرك الشيء فقط لكن ندرك معه ربما آلاف الأشياء لكن بطريق غير واضح vaguely "[18] وعلينا من ثم تفسير الجمع بين أكثر من موضوع فى فعل الوعى ، وعلينا أيضا تفسير الإدراك الغامض vague، حيث يقول وليم جيمس : " ما أتوق إليه هو إعادة "الغامض" vague لمكانته الصحيحة فى الحياة العقلية [19].

٣-ما اتصال continuity الوعى أى كيف يتم الجمع بين أكثر من موضوع فى فعل وعى واحد(أو كيف يتم الجمع بين الرعد والسكون) ؟ وما طبيعة الوحدة unity التى تجمع بينها ؟ وما الإدراك الغامض vague ؟:

يتم الانتقال من السكون إلى الرعد بواسطة جزء معين فى فعل الوعى ، وهو الجزء الذى يدرك العلاقات ، ويسميه وليم جيمس" الأجزاء أو الحالات الانتقالية للوعى " ، وهى التى ينتقل بها الوعى من التركيز على شيء للتركيز على آخر ، يقول وليم جيمس :"إذا نظرنا إلى تيار الوعى نظرة عامة فإن أول ما يستوقفنا هو اختلاف سرعة أجزائه ، فكما أن الطائر يطير ويجثم أحيانًا ، فإن بتيار الوعى مواضع للتوقف تتميز بإمكانية إبقائها أمام الذهن لفترة غير محددة والتأمل فيها دون أن تتغير، وللطائر أيضًا مواضع للطيران تملأه أفكار العلاقات التى تحدث بين الأشياء التى يتم التأمل فيها فى فترات التوقف النسبى ، ونسمى مواضع التوقف النسبى "الأجزاء الدائمة أو الحالات الدائمة نسبياً للوعى substantive parts "، بينما نسمى مواضع الطيران "الأجزاء أو الحالات الانتقالية للوعى transitive parts "[20].

أ- الحالات أو الأجزاء الدائمة نسبياً للوعى of consciousness substantive parts والأجزاء أو الحالات الانتقالية له transitive parts of consciousness:

لفعل الوعى عند وليم جيمس جانبان : جانب خاص بإدراك الموضوع الدائم نسبياً للوعى substantive ، وجانب آخر خاص بإدراك العلاقات التى تربط بين هذه الموضوعات (سواء علاقة استاتيكية أو ديناميكية) ، وكلاهما أفعال وعى ، أى خبرة نمارسها بالفعل : الأولى خبرة شيء يمكن أن يبقى لفترة أمام الوعى مثل الإحساسات sensations و صور الأشياء images أو المدركات percepts و التصورات concepts، وكلها أشياء يمكن أن نبقيها أمام الوعى لفترة ونتأمل فيها مثل الإحساس بصوت الرعد فى المثال السابق.

والخبرة الثانية هى وعى بالعلاقات التى ننتقل بها من شيء باق ودائم نسبياً لآخر، مثل الوعى بعلاقة التتابع الزمنى بين الرعد والموضوع السابق عليه (السكون) ، و ويسمى وليم جيمس الوعى بالعلاقات " الأجزاء الانتقالية للوعى transitive parts of consciousness " ، وهى سريعة الزوال ؛ لأنها شعور بالانتقال من موضوع لآخر ، و إذا حاولنا الإمساك بها لم نجد أمامنا إلا الموضوع الدائم نسبياً ؛ لأننا حينها سنكون كمن يحاول الإمساك بالكرة وهى طائرة لكى يعرف كيف تكون طائرة.

" والغاية من التفكير هى الانتقال من موضوع دائم نسبياً للآخر عن طريق الحالات الانتقالية ، وإذا كان من السهل أن نتعرف على الحالات الدائمة نسبيًا لأنها تمكث أمام الذهن لفترة غير محددة فمن الصعب جدًا – بالاستبطان Introspection– أن نفهم ما هى هذه الأجزاء الانتقالية؛ لأنها إذا كانت مجرد مرور وانتقال لنهاية ، فإيقافها لفحصها قبل بلوغ هذه النتيجة يعنى إفنائها ، بينما لو انتظرنا حتى بلوغ النتيجة فإن موضوع الوعى أو النتيجة سوف تتفوق على الحالة الانتقالية فى قوتها وثباتها ، ولن تظهر الحالة الانتقالية معها ، وبدلًا من الإمساك بالشعور بالعلاقة وهى تتجه لنهايتها نجد أننا نمسك بالجزء الدائم نسبيًا"[21].

والسبب فى أننا نمارس أفعال الانتقال هو أنها الوسيلة التى تنتهى بنا إلى موضوع دائم نسبيًا خلاف ذلك الذى بدأنا منه الانتقال ، والأجزاء الانتقالية هى السبب فى كون الوعى تيار stream ، " فالوعى لا يقفز من حالة دائمة نسبياً لأخرى ، وإنما هو دائماً يشعر بالاتصال بفضل الخبرة بالعلاقات الانتقالية" [22] ، ومن ثم فطبيعة الوعى هى أن يدرك موضوعاته وهى متصلة.

إننا إذا حاولنا الإمساك بفعل الانتقال – فى الاستبطان – وجدناه يتلاشى قبل الإمساك به ، " و النتيجة هى الخطأ الأكبر الذى تتعرض له كل المدارس ، وهو التأكيد الزائد على الأجزاء الدائمة نسبياً لتيار الوعى "[23] ويتم تجاهل الأجزاء الانتقالية بطريقتين : الأولى هى الاعتقاد بأن الشعور بصوت قصف الرعد بعد السكون إنما هو قطع لذلك الشعور بالسكون ، و هو موقف الحسيين sensationalism الذين ينكرون وجود فعل شعور feeling بالعلاقة ؛ لأنهم لم يجدوا محتويات تدوم لفترة أمام الوعى ، ويمكن تسميتها لتكون مقابل العلاقات الموجودة بين الحقائق الخارجية .

أما الطريقة الثانية لتجاهل الأجزاء الانتقالية لتيار الوعى والتركيز على الأجزاء الدائمة نسبيًا فهى طريقة المذهب العقلى intellectualism الذى لم ينكر حقيقة العلاقات خارج العقل، لكنه لم يجد أى محتوى دائم فى الوعى يقابل العلاقات فاعتبر العلاقات مضافة للخبرة من عقل متعال transcendental ، ومن ثم فالعلاقات لا تُعرف بأفعال الشعور ، ولا بأى حالة عقلية تتشابه فى طبيعتها مع النسيج الذى تتألف منه الإحساسات sensations والأشياء الدائمة نسبيًا ؛ لأن العلاقات تحتاج لقدرة أعلى من الخبرة الحسية وترد إلى actus purus الفاعلية الخالصة للعقل أو الفكر Thought .

أما وليم جيمس الذى بقى داخل الخبرة الفعلية على نحو ما نعيشها ، فلا يشك فى وجود العلاقات فى طبيعة الأشياء nature rerum وبعدد لا يحصى، وكذلك لا يشك فى وجود أفعال وعى مباشرة بهذه العلاقات ، مثلًا لدينا أفعال شعور بالعلاقات feeling of relations مثل علاقة المعية المكانية ، أو علاقة التتابع الزمنى : فقد

أركز على إنسان عين pupil شخص معين وأنا أنظر إليه ، ثم أركز على حدقة عينه iris ، وبذلك فأنا أدرك المعية بين إنسان العين والحدقة ولدى فعل وعى بها ، لكن ليس لدى صور حسية تقابلها ، حيث لا أرى إلا إنسان العين ثم أرى الحدقة ، وعند سماع صوت الرعد بعد فترة من السكون أنا أدرك التتابع الزمنى temporal sequence من السكون لسماع الرعد مع أن هذا التتابع نفسه لا تقابله إحساسات ، ويصبح ما أدركه بعد سماع الرعد ليس هو الرعد خالصًا وإنما (الرعد – وهو – يقطع – السكون).

ويعكس الكلام البشرى الاعتقاد فى وجود علاقات متنوعة بين موضوعات التفكير، فخلال استخدام حروف العطف conjunctions (مثل : و، أو ، بعد)، وحروف الجر prepositions (مثل : فى ، عند ، على) وغيره ، بل إن الإنسان عند استخدامه لأى نبرة من نبرات الصوت فهو يعبر عن شعوره بهذه العلاقات ، وكما لا نتردد فى قولنا شعور بـ (أزرق) وشعور بـ (بارد) فينبغى أن نقول شعور بـ (و) وشعور بـ (إذا) وشعور بـ (لكن) وشعور بـ (بواسطة) ، فإذا وجدت أفعال الشعور feelings فبالتأكيد كما توجد علاقات بين الأشياء بطبيعتها فستوجد بتأكيد أكثر أفعال الوعى التى تدرك هذه العلاقات ، وإذا تحدثنا بشكل موضوعى فهى العلاقات الحقيقية التى تتكشف لنا ، وإذا تحدثنا بشكل ذاتى فهو تيار الوعى الذى يقابل كل من هذه العلاقات بحالة داخلية من حالاته [24].

ب–الإدراك الغامض vague perception و حاشية الوعى Fringes:

وبالإضافة إلى الأجزاء الانتقالية والدائمة نسبياً لفعل الوعى يتحدث وليم جيمس عن حاشية الوعى Fringe* ، فللأفعال الواعية ثلاثة أجزاء : جزء هو وعى بالموضوع الدائم نسبيًا ، وجزء هو وعى حى بالعلاقة بين موضوع دائم نسبيًا وآخر، وجزء ثالث هو حالات وعى غير مسماة ، والأجزاء الثلاثة إدراكية cognitive أى ندرك بها شيئاً : الأولى والثانية إدراك فعلى ، والثالثة موجودة فى صورة إمكان للإدراك ، تسمى الأولى باسم الموضوع الدائم نسبيًا substantive parts ، أما الثانية والثالثة فغير مسميان ؛ لأنه لا يوجد ما هو دائم فى الوعى متعلق بهما لتسمى باسمه[25] .

فكما هو الحال مع الحالات الانتقالية الإدراكية transitive parts نجد الشعور بالاتجاه feeling of tendency شعور ليس له اسم ولا تعترف به السيكولوجيا التقليدية ، كما أنه شعور ينقلنا من صورحسية للأخرى ، ولأنه انتقالى فلا نعثر عليه فى الاستبطان Introspection.

ويشرح لنا وليم جيمس الشعور بالاتجاه feeling of tendency : فعندما يقول لنا شخص انتظر Wait ، انظر Look ، اسمع Hark فإن شعورنا ينتقل إلى حالة استعداد فعلى لاستقبال انطباعات معينة ، ورغم عدم وجود موضوع معين أمام الشعور فى هذه الحالات الثلاث إلا أن هناك موضوع ما يوجه الشعور نحو هدف سنستقبله ، لكنه غير محدد vague ، و هذا الاستعداد وهذا التوقع هو فعل عقلى معين متميز عن غيره من الأفعال، رغم عدم وضوح وتحديد موضوعه ، ومن ثم فهناك شيء ما غامض يوجه الشعور ،"و إذا تجاوزنا عن الاتجاهات الجسمية الفعلية، وعن الصور الصوتية للكلمات الثلاث ، فلن ينكر أحد وجود شعور متبقى ، وهو إحساس بالاتجاه الذى يوشك أن يصدر منه انطباع ما ، رغم عدم وجود انطباع إيجابى بعد ، ورغم عدم وجود اسم لهذه الحالات إلا كلمات انتظر، انظر، اسمع [26] "

"وجزء كبير من الكلام البشرى ليس إلا علامات للاتجاه signs of direction فى التفكير ، وهو اتجاه لدينا شعور مميز به ، رغم أنه لا توجد أى صورة حسية تلعب فيه أى دور كان ، " و يشير وليم جيمس فى ذلك للسوالب negatives مثل لا ، وأبداً ، وليس بعد ، ويشيركذلك لأدوات الاستفهام مثل من؟ ، أين؟ ولأشباه الجمل phrases مثل "إما الواحد أو الآخر" ، و "أ هى ب لكن ".....إلخ ، لكل منها معنى يتعلق به فعل من أفعال الوعى ، و وظيفتها أن تقودنا من مجموعة من الصور الحسية للأخرى حيث هذه حقائق عقلية ثابتة أما هذه الكلمات فهى علاقات للانتقال transitions لا نلمحها إلا وهى فى طيران .

وعندما أحاول تذكر اسم منسى فإن هذا الاسم يشكل فجوة أريد ملؤها، لكنها ليست فجوة عادية ؛ لأنها فجوة فعالة ، توجهنى اتجاه معين : فتجعلنى أرفض أسماء معينة لا تتناسب معها ، وتجعلنى أشعر مع أسماء أخرى باقترابى من تحقيق هدفى ،

وبالتالى لدى فعل للشعور يوجهنى نحو موضوع سبق إدراكه ، لكنه غير واضح أمامى ، ويقول وليم جيمس: "ومن ثم فحالة عدم وجود اسم namelessness إنما تنسجم مع الوجود ، حيث توجد أفعال وعى لا تحصى بالفراغ emptiness ، ليس لأى منها اسم فى ذاتها ،رغم أنها كلها مختلفة عن بعضها البعض ، و يختلف الشعور بالغياب كلية عن غياب الشعور؛ لأن الأول شعور فعال مثلًا المعنى المتلاشى لشىء قد يضللنا بشكل متقطع بدون أن يصير متميزًا[27] ".

ويحدثنا وليم جيمس عن القصد intention لقول شىء قبل قوله ، وأنه فعل قصد معين –أشعر به – يختلف عن أفعال القصد الأخرى ، وهو حالة معينة من حالات الوعى لكن موضوع القصد نفسه غير موجود ، و تتضح الطبيعة الإيجابية لهذا القصد من موافقة القصد أو رفضه للكلمات التى تبدأ لتحل محله ، فهو يوافق على ما يتفق معه ، ويرفض ما لا يتفق معه ، ومن ثم فلهذا الفعل طبيعة خاصة به دون أن يتألف من موضوع محدد.

ورغم عدم قدرتنا على تسمية أفعال الشعور بالعلاقات وبالاتجاه و بالقصد فإنها جزء من تيار الوعى يقول وليم جيمس: و "ما أتوق إليه هو إعادة "الغامض" لمكانته الصحيحة فى الحياة العقلية.[28] " وعلى السيكولوجيا التقليدية التى ذهبت إلى أنه لا يمكن أن تكون لدينا صور حسية images إلا عن أشياء محددة بشكل كامل perfectly definite things ، فيرد وليم جيمس بأن الوعى تيار، وإذا قلنا إنه لا يكون إلا وعياً بأشياء محددة لنا صور حسية عنها ، كنا كمن يعتبر تيار الماء لا يتألف إلا من القوالب ، ذات الأشكال المتنوعة ، التى يصب فيها الماء (كالدلو – البرميل – القدر ...) ، فحتى إذا وجدت هذه القوالب ، وهى هنا رمز لموضوعات التفكير المعينة المحددة ، فما زال هناك ماء يجرى حول تلك القوالب وهذا الماء المطلق الحر الذى يرمز للعلاقات هو ما لم تلتفت إليه السيكولوجيا التقليدية.

والنشاط الموجود فى الاتجاه tendency ، وفعل الشعور بالعلاقة، ، و القصد ، يؤكد اتصال الوعى وأنه لا جزء فيه أو فعل يكون فى انعزال تام عن غيره .

" ومع كل صورة حسية imsge نجد الإحساس بعلاقاتها ، القريبة و البعيدة، ونجد الأثر المتلاشى dying echo للأين الذى جاءت منه ، كما نجد الإحساس الناشىء للأين الذى ستقود إليه ، وتقع أهمية الصورة الحسية image وقيمتها فى الهالة halo التى تحيط بها أو التى تصاحبها ، وإذا تركنا هذه الهالة فستظل الصورة الحسية صورة حسية لنفس الشيء كما كان من قبل لكن وقد تم تناوله وفهمه بشكل جديد freshly"[29] ؛ لأنه حينها سيكون فى مجال field جديد، وعلاقات جديدة ، وهذه العلاقات رغم وجودها الضمنى فى حالته السابقة إلا أنها ستظهره بمظهر مختلف، وقد سمى وليم جيمس مثل هذه الظواهر العقلية "معنى عقلى إضافى psychic overtone ، أو حاشية Fringe ، لكى يشير إلى تأثير عمليات الدماغ الضعيفة faint brain-process (تلك التى تتعلق بحالة عقلية مضت) الآن على الحالة العقلية الحالية فوليم جيمس يرى ترابط وتلازم بين عمليات الدماغ وبين الفعل العقلى mental action فالثانى هو عمل الأول ، و يتنوع بتنوع ، و هو كالمعلول له[30].

وإذا كنا قد تحدثنا عن الأجزاء الدائمة نسبياً التى يمكن أن تبقى أمام الوعى لفترة ، فإن الخبرات أو الأجزاء الانتقالية للوعى تعمل كحاشية fringe حول تلك الأجزاء الدائمة نسبيًا، وتوجد فى هذه الحاشية مجموعة العلاقات والأشياء التى يمكن أن ترتبط بها تلك الأجزاء الدائمة نسبيًا ، وكأنها هالة halo و مجال field تحيط بتلك الأجزاء الدائمة نسبيًا ، وتظهر بعض هذه العلاقات الآن ثم قد تظهر علاقات أخرى بأشياء أخرى فى وقت آخر ، وحينها يحتفظ الدماغ بأثر العمليات السابقة ، ونجد ذلك الأثر يظهر فى الوعى فى شكل تلك الحاشية ؛لأن الوعى ليس حالات منفصلة متقطعة إنما هو متصل [31].

مثلًا إذا قرأت كتاباً عن فلسفة مثالية Idealism ، وسألنى شخص عن موضوع هذا الكتاب سأقول إنه عن فلسفة مثالية ، والمثالية مذهب رئيس فى الفلسفة ، وهومذهب فى طبيعة المعرفة ، وهو يختلف عن الواقعية Realism، والفيلسوف يبرهن فى الكتاب على صحة أفكاره ونسقه ، والفترة التاريخية التى تم تأليف الكتاب فيها ساد

فيها تأييد المذهب المثالى ...وهكذا ، فليس كل ما ذكرته موجودًا بالكتاب بالفعل، لكن تلك المعلومات تدور فى حاشية fringe موضوع الكتاب ، والمثالية فى هذه الحالة تعتبر nucleus or topic بؤرة للوعى تأخذها الخبرة كمركز تدور حوله الأفكار، كما يمكن أن تكون الفترة التاريخية التى نشر فيها الكتاب بؤرة أخرى للوعى ، وقد لا يمكننى أن أحصى كل ما فى تلك الحاشية لكنها كما قال وليم جيمس: "جزء من الموضوع المُدرَكobject cognized "[32].

وقد ذكر وليم جيمس هذه البؤرة nucleus مع التفكيرthought ومع اللغة language وقد أوضح ذلك بأمثلة ، فإذا ركزنا على تصور مثل كلمة رجل " man" فهو تصور له معنى لكن المعنى ليس فقط معنى الكلمة "رجل" باعتبارها بؤرة الوعى topic ، إنما يرتبط المعنى بكل كلمة نعبر بها عن هذا التصور، فإذا قلنا مثلًا " يا له من رجل بارع جونز what a wonderful man Jones is" و " يا له من شيء رائع الرجل what a wonderful Man is" ففى الحالتين أستخدم نفس الصوت ، و فى ذهنى نفس الصورة الحسية ، لكن عند نطق الكلام أقصد شيئين مختلفين : ففى العبارة الأولى أقصد "بالرجل" استبعاد نابليون بونابارت و سميث ، لكن فى العبارة الثانية أعى أنى أشير لجونز ولبونابارت ولسميث ، وهذا الوعى الموجود بالفعل هو ما حول الكلمات لشيء له معنى ، ولم يجعلها مجرد أصوات ، كما أنه الوعى الذى حدد ما يلى من أفكار و كلمات و صور حسية images.

ومعنى ذلك أن كل كلمة لها حاشية fringe من العلاقات ، وأن هذه الحاشية هى التى جعلت كلمة "رجل " تطبق على كل الرجال أو على بعضهم أو على رجل واحد حسب ما تسمح به الحاشية و يناسب السياق الذى نجد فيه كلمة "رجل " ، و الحاشية وعى إضافى لكلمة رجل باعتبارها بؤرة الوعى topic ، وهى شعور إيجابى يحول ما سيكون بدونها مجرد صوت إلى شيء مفهوم.

وترتبط فكرة الحاشية بالتمييز بين المعرفة المباشرة knowledge by acquaintance والمعرفة غير المباشرة knowledge about ؛ لأنها هى التى تميز بينهما " فإذا نظرنا للوظيفة الإدراكية cognitive function لحالات العقل

المختلفة تأكدنا من أن الاختلاف بين حالة المعرفة المباشرة وبين حالة المعرفة غير المباشرة إنما يرجع تقريبًا كلية إلى غياب أو حضور الحاشية العقلية psychic fringe ، فالمعرفة غير المباشرة بالشيء هى معرفة بعلاقاته ، بينما تتقيد المعرفة المباشرة بالانطباع الذى يحدثه هذا الشيء حيث نشعر feel بمعظم علاقاته فقط بالطريقة الناشئة غير الواضحة للحاشية"[33].

وهذا يقودنا للسمة الثالثة للتفكير thought وهى السمة الإدراكية.

ج –وصف وتفسير لاتصال الوعى عند وليم جيمس

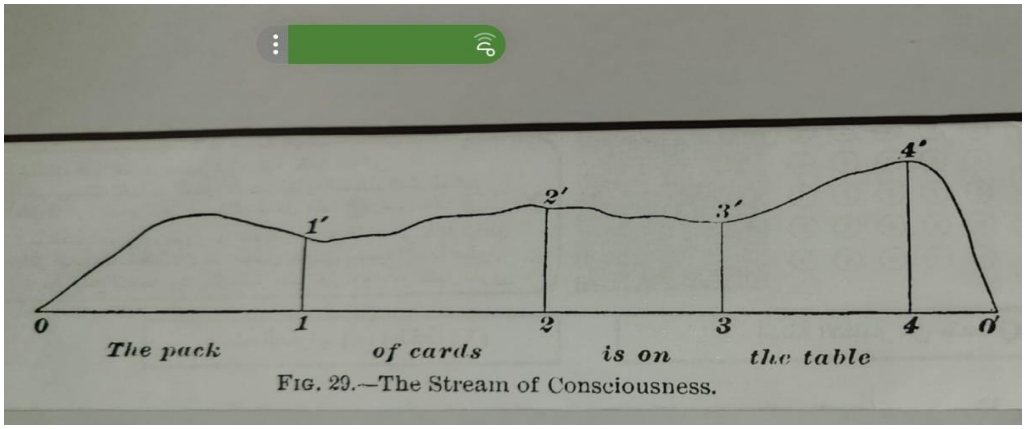

FIG. 29.—The Stream of Consciousness.

إن الوعى consciousness و إن كان تيارًا Stream يستغرق زمنًا فهو لا يظهر لنا ولا يعطينا أفكارًا أو أجزاءًا متميزة منفصلة عن بعضها البعض ، ولتأكيد ذلك يصف لنا وليم جيمس ما يحدث فى العقل عند نطق جملة :(توجد حزمة أوراق اللعب على المنضدة) the pack of cards is on the table ، بشرط أن يلتزم بالإخلاص للمنهج التجريبى ، فيقف عند الفكرة التى يقوم بوصفها بالاستبطان introspection على نحو ما هى عليه بالفعل ، فلا يخلط بينها وبين موضوعها ، ويقول إنها فكرة عن "حزمة أوراق اللعب " ولكل "ورقة" منها فكرة ، وبالتالى فهى" فكرة تضم الأفكار عن الأوراق المتضمنة فى هذه الحزمة" ، كما أنها فكرة عن "المنضدة "و فكرة عن "كل رجل من أرجل المنضدة " ؛ لأنه لا يمكن التفكير فى المنضدة بدون أرجل.

ويصور لنا وليم جيمس ما يحدث بالعقل عند نطق الجملة السابقة برسم خط أفقى (على نحو ما هو موضح بالشكل رقم ٢٩ الخاص بتيار الوعى) يمثل الزمن الذى يستغرقه نطق الجملة ، وبرسم خطوط رأسية تتعامد على ذلك الخط الأفقى ، وتمثل الموضوع فى العقل فى لحظات الزمن الذى يستغرقه ذلك النطق، بحيث يمثل الخط العمودى **'1–1**" حزمة أوراق اللعب pack" كجزء الموضوع الحاضر بقوة فى لحظة معينة ، ويمثل الخط العمودى **'2–2** " أوراق اللعب cards " كجزء الموضوع الحاضر بقوة فى لحظة تالية للحظة السابقة وهكذا ، أما المكان الذى يعلو الخط الأفقى مثلا **'2–2–'1–1** فيمثل كل ما يحدث داخل العقل من اللحظة الأولى للحظة الثانية من الزمن الذى يستغرقه نطق الجملة .

وتبدو الفكرة كما ولو كانت ذات أجزاء ، بحيث تُدرِك كل فترة زمنية منها جزءًا من الموضوع ؛ وذلك لأن نطق الجملة يستغرق زمنًا ، إلا أنها ليست كذلك ، فهذه الفترات فى الشكل من O إلى 'O هى فترات متداخلة متصلة تتحل فى بعضها البعض مثل انحلال الصور dissolving views* فى الفانوس السحرى ، الذى صمم بحيث أن الصور التى تعرض وتسقط على الشاشة تتحل كل صورة منها لصورة أخرى بلا فواصل بينهما ، وبالتالى لن نجد فى تلك الفترات الزمنية أجزاءًا من الفكرة توازى أجزاءًا للموضوع ، وإن كان كل جزء منها يدرك الموضوع بشكل مختلف عن الجزء الآخر، إلا أنها كلها تدرك الموضوع فى كليته كوحدة غير مقسمة .

ويوضح وليم جيمس التداخل السابق الإشارة إليه قائلًا : كانت جملة (توجد أوراق اللعب على المنضدة) كلها حاضرة فى الوعى قبل نطق كلمة واحدة منها وذلك فى شكل قصد للنطق بها ، وبعد نطق آخر كلمة فى الجملة كان كل محتوى الجملة حاضرًا لأننا نطقنا بالجملة كاملة ، ولم يكن معنى الجملة كله موجودًا قبل نطقها وبعد نطقها فقط ، ولكن أيضًا أثناء نطق كل كلمة ؛ لأن كل كلمة تُنطق لا تستبعد باقى محتويات الجملة (لانشغال الإنسان بصوت الكلمة مهما كان عاليًا) فالمعنى يغمر suffuseكل كلمة ويشكل حاشية Fringe لها ، وإذا تخيلنا قطاعًا عرضيًا فى

التفكيرلما وجدنا فيه الكلمة مجردة أثناء النطق ، وإنما سنجد الكلمة مغمورة بالفكرة و المعنى كله [34] .

ولا يغيب معنى الجملة أبدًا و لاتُعطَى أى كلمة للوعى فى جملة مفهومة كمجرد صوت ، فنحن نشعر بمعنى الجملة بينما يستمر نطق الجملة ، ورغم أن المعنى يختلف من لحظة لأخرى حسب منظور بؤرة الوعى topic ، أو النواة nucleus أى الكلمة التى نركز عليها (إن كانت الحزمة –أو أوراق اللعب – أو على –أو المنضدة) ، فإن هذا المعنى يكون متشابهًا خلال كل تيار الوعى.

وتظل نفس العمليات الفسيولوجية فعالة أثناء نطق الجملة ولكن بدرجات مختلفة فكل عملية منها تثار لأقصى درجة محدثة النواة اللفظية المؤقتة momentary verbal kernel لموضوع التفكير object of thought ، ثم تقل إثارة العملية ، مع الانتقال لعملية أخرى ، فتنضم العملية التى قلت إثارتها للأخرى التى قلت إثارتها أيضًا محدثة الحاشية fringe التى تصاحب المرحلة الحاضرة، فيظل السابق حاضرًا مع ما هو حالى ، علاوة على المستقبل ، والكلمات التى ننطقها والمعنى هى إذن من نفس الطبيعة consubstantial.

٤-السمة الإداركية cognitive للحالات العقلية والمعرفة المباشرة و غير المباشرة knowledge by acquaintance and knowledge about :

ويضيف وليم جيمس سمة ثالثة للوعى وهى الإدراك ، فأسمى فكرتى مدركة cognitive لحقيقة خارجية عندما يكون لها نفس الموضوع لفكرتك، أو عندما يكون لها نفس الموضوع لفكرة أخرى ماضية لى ، " فالتماثل التام sameness فى كثرة من المظاهر الموضوعية هو أساس الاعتقاد فى حقائق توجد خارج العقل "[35] ومن ثم فوجود أفكار بشرية عديدة لنفس الموضوع هو سبب الاعتقاد فى وجود مطابق لموضوع الأفكار خارج العقل extra–mental duplicate ، والكل يعتقد فى وجود الحقائق خارج العقل بسبب أحكام التماثل تلك sameness ، وما هو خارج العقل على هذا النحو هو موضوع له يعرفه ويحلله ويتأمل فيه ، ووليم جيمس يسمى هذه

المعرفة "المعرفة غير المباشرة knowledge about " ، و يميز بينها وبين معرفة أخرى مباشرة knowledge by acquaintance .

ويوحد وليم جيمس بين الإحساس sensation و بين المعرفة المباشرة فيقول : " يختلف الإحساس من ثم – طالما اتخذنا وجهة النظر التحليلية analytic* – عن الإدراك perception فقط فى البساطة القصوى لموضوعه أو محتواه ، فوظيفة الإحساس هى مجرد المعرفة المباشرة mere acquaintance بالحقيقة ، وعلى الجانب الآخر نجد وظيفة الإدراك هى المعرفة غير المباشرة بهذه الحقيقة knowledge about a fact حيث تسمح هذه المعرفة بدرجات لا حصر لها من التعقيد"[36].

يقول وليم جيمس: "الإحساس اسم لوظيفة إدراكية cognitive function ...وكلما اقترب الموضوع الُمدرَك cognized من كونه كيفًا بسيطًا مثل حار hot بارد cold و أحمر red و صاخب و ألم ، مُدرَك بدون صلة بأشياء أخرى كلما اقتربت الحالة العقلية من الإحساس الخالص pure sensation ، وكلما اقتربت علاقات الموضوع من التمام وزاد كونه مصنفًا classed ، محدد الموضع located ، مقيس measured ، مُقارن compared و مُخصص لوظيفة assigned to a function ...إلخ كلما دعونا الحالة العقلية – وبدون تحفظ – معرفة غير مباشرة ، وكلما صغر الدور الذى يلعبه الإحساس فيها [37]".

ويذكر وليم جيمس أيضًا فى الجزء الأول من كتابه "مبادئ علم النفس "Principles of Psychology" :"كلما قل تحليلنا للشىء وكلما قل إدراكنا لعلاقاته كلما قلت معرفتنا غير المباشرة به وكلما زاد كون معرفتنا به من النوع المباشر of the acquaintance type [38]".

و يميز وليم جيمس هنا بين المعرفة المباشرة التى تعرف أن موضوعًا ما موجود ، لكن لا تعرف ما هو ، وبين المعرفة غير المباشرة التى تعرف أن الشىء موجود وتعرف ما هو ، والمعرفة المباشرة تماثل الإحساس ، أما المعرفة غير المباشرة فتنشأ من تحليل حاشية علاقات الموضوع.

والمعرفة المباشرة تكون بالطبائع المباشرة الصرفةbare immediate natures للأشياء كالأحمر ، و البارد ، والصاخب....إلخ وتأثرنا بها خالصة دون تذكرنا – معها– لأحداث ماضية ، ودون أن يستدعى هذا التأثر طبائع أخرى ، ودون أن نضم هذه الطبائع مع أخرى فى حكم عن الموضوع ، ونعلق عليه باستخدام التصورات ، وهذا الإحساس الخالص السابق على التأمل pre–reflective على هذا النحو "لا يحدث إلا فى الأيام الأولى لحياتنا ، وهو مستحيل مع البالغين الذين لهم ذكريات والذين اكتسبوا مخزوناً من التداعيات associations كما أنه إحساس يعطينى مجرد مجموعة من موضوعات الحديث التى لم تُكشَف بعد علاقاتها ، فأول مرة رأينا الضوء – كما قال كوندياك – كنا الضوء بدلًا من أن نراه ، لكن كل معرفتنا البصرية اللاحقة كانت عما تقدمه هذه الخبرة البصرية "[39] أى لم يكن الضوء موضوعًا لنا فى أول مرة نواجه فيها هذه الحقيقة (أى الضوء) ، ثم أصبح بعد ذلك موضوعًا ، حيث نصف ما يحدث فى خبرتنا البصرية ونعلق عليه فى تصورات وأحكام .

يقول وليم جيمس: "إن ما نعرفه بالمعرفة المباشرة knowledge by acquaintance يحضر فقط مجرد حضور لعقلنا ، نحصل عليه أو نحصل على فكرته ، لكن عندما نعرفه معرفة غير مباشرة knowledge about نفعل أكثر من مجرد امتلاكه ، فنبدو ونحن نفكر فى علاقاته أننا نخضعه لنوع من المعالجة ، وأننا نتعامل معه بتفكيرنا [40]".

والمعرفة المباشرة خبرة مباشرة تخلو من التحليل للشيء وعلاقاته واستخدام عمليات العقل ، كما أن هذه المعرفة المباشرة خرساء dumb ، لا تقول شيئًا ، ولا تطلق أى تصور أو حكم ، وهى ليست وصفية not descriptive فأنا أعرف اللون الأزرق معرفة مباشرة لأنى أراه ، وأعرف البوصة Inch بالاتصال المباشر لأنى أمرر أصبعى خلالها ، كذلك أعرف مجهود الانتباه لأنى أقوم به ....إلخ ، لكن معارفى هذه خرساء لأنى أعرفها دون أن أقول عن موضوعاتها وصفًا أو تصورًا أو حكمًا أنقلها به للآخرين ، إنما عليهم – إن أرادوا أن يعرفوا ما عرفته– أن يتصلوا مثلى

بالأشياء اتصالًا مباشرًا ، دون تحليلها وتقسيمها لأجزاء، و دون النظر إليها من الخارج لمعرفة علاقاتها بالأشياء الأخرى ، بينما المعرفة غير المباشرة هى نتاج التحليل والتأمل واستخدام عمليات العقل كما يتم دائمًا التعبير عنها باللغة .

ويحتفظ وليم جيمس بلفظ الشعور Feeling لحالات الوعى التى تحدث فيها المعرفة المباشرة ، وهى تنطبق على الإحساسات sensations و المشاعر emotions على نحو ما يحدث عند اتصالنا المباشر بالأشياء ومعرفتها بالعين أو الأذن أو الجلد أو الأنف أو التعامل معها بالعضلات ، و كذلك ما يحدث فى القلب أوالمعدة أو أى عضو داخل البطن ونشعر به ، فهو من قبيل المعرفة المباشرة ، أما المعرفة غير المباشرة فتتم عندنا لأننا نتحدث ، ويمكننا تصنيف الأشياء ، ووصفها بالتصورات concepts و بالأحكام judgements ، بينما يحتفظ وليم جيمس بلفظ التفكير Thought للإشارة إلى المعرفة غير المباشرة أو المعرفة بالتصورات و الأحكام.

يقول وليم جيمس :" وتعبر كلمات الشعور Feeling و التفكير Thoughtعن هذا التضاد بين المعرفة المباشرة و غير المباشرة ، فخلال أفعال الشعور نألف الأشياء لكننا بالأفكار فقط نعرف شيئًا عنها بطريقة غير مباشرة ، وأفعال الشعور هى بذرة الإدراك germ of cognition ونقطة بدئه ، والأفكار هى شجرته النامية "[41] فالوعى يواجه encounters حقيقة خارج نفسه فقط مع الإحساس ، ثم تحل الأفكار محل هذه الإحساسات – وهى أفكار تعرف نفس الأشياء بطرق مختلفة تمامًا – لكن هذه المواجهة بالإحساسات هى ما تجعل معرفتنا غير المباشرة بالتصورات ذات قيمة محققة للسمات المطلوبة فيها وبدونها تكون الأنساق التصورية – التى لم تبدأ ولم تنته بالإحساسات – كالجسور بلا دعامات تسندها وتكون مجوفة hollow غيرملائمة inadequate.

ويمكننا الانتقال من المعرفة بالتصورات إلى الأخرى المباشرة بتشتيت الانتباه بعيدًا عن تفاصيل الشيء وعلاقاته والتركيز عليه فى حدود الإحساس وحده ، بينما يوصلنا الانتباه للشيء وتحليله والتركيز على علاقاته المختلفة للمعرفة غير المباشرة به

"و النوعين من المعرفة المعرفة المباشرة والمعرفة غير المباشرة كما يمارسها الإنسان هى نسبية لبعضها البعض ، فنفس الفكرة عن الشيء يمكن أن تسمى غير مباشرة بالمقارنة بفكرة أبسط ، أو تسمى معرفة مباشرة بالمقارنة بفكرة أكثر تفصيلًا عنه"[42].

وتكون المعرفة المباشرة بجانب واحد من الشيء أو بمعطى واحد فقط كلون الشيء مثلًا ، بحيث يشغل هذا الجزء مركز وبؤرة topic للخبرة يركز عليها الانتباه ، بينما تؤلف علاقات هذا الجانب للشيء بصفاته الأخرى و بالأشياء الأخرى حاشية تلك البؤرة ، التى نعى بها ، ولكن بشكل غير واضح محدد ؛ لعدم تركيز الانتباه عليها ، فلا أركز انتباهى مثلًا على جسمى ، بينما أركز على لون الشيء إنما أعى بهذا الجسم بشكل غير واضح " و موضع position و اتجاه attitude و حالةcondition جسمنا هى أحد الأشياء التى يصحب الوعى بها– وإن كان غير منتبه– دائماً المعرفة بأى شيء نعرفه "[43].

وفى إطار حديث وليم جيمس عن التمييز بين المعرفة المباشرة و غير المباشرة نجده يذكر مصطلح" object of thought موضوع التفكير" ويميز بينه وبين نواة الوعى المستقلة substantive kernel or nucleus"

أ–موضوع التفكير object of thought و "نواة الوعى المستقلة substantive kernel or nucleus":

يميز وليم جيمس بين موضوع التفكير object of thought و بين نواة الوعى المستقلة أو الموضوع الذى نركز عليه ، والذى تدور حوله أفكار و علاقات أخرى ندركها بشكل غير واضح vaguely ففى عبارة "اكتشف كولومبوس أمريكا فى ١٤٩٢" نجد هنا أكثر من نواة topic يمكن التركيز عليها هى (كولومبوس) و(أمريكا) و(اكتشاف أمريكا) و هذه هى موضوع الحديث أما موضوع التفكير نفسه فهو الجملة كلها ، بكل ما تحتمله من علاقات ممكنة.

إن موضوع التفكير هو "ما يفكر فيه التفكير بالضبط على نحو ما يفكر لا أكثر ولا أقل" وعلى ذلك يكون "موضوع التفكير" فى عبارة "اكتشف كولومبوس أمريكا فى ١٤٩٢" ليس هو كولومبوس ، ولا أمريكا، ولا اكتشاف أمريكا ، إنما هو ما لا يقل عن

(اكتشف – كولومبوس – أمريكا – فى – ١٤٩٢) مع الواصلة hyphen بين كل كلمة وأخرى ؛ لأن هذه هى الصورة التى تحدد لى ما يميز هذه الجملة ، وإذا أردت أن أشعر بهذه الميزة idiosyncrasy علّى إعادة الفكرة كما نُطقَت ، مع ما تحتمله كل كلمة ، ومع الجملة كلها تغمرها هالة أصلية من العلاقات غير الواضحة and the whole sentence bathed in that original halo of obscure relations ، والهالة كأنها أفق horizon ينتشرفيها معنى الجملة " [44] أى لكى نصل إلى "موضوع التفكير" يجب النظر لكل كلمة مع كل العلاقات التى يمكن أن تدخل فيها.

وتظهر كل نواة للوعى فى مجال field ، وعلاقة المجال بنواة الوعى علاقة ثابتة ، فدائمًا هناك بؤرة وحاشية من العلاقات والأشياء الأخرى – التى يمكن أن تدخل النواة التى نركز عليها فى علاقات معها – والحاشية والنواة يشكلان مجال الخبرة .

٥–صلة المعرفة المباشرة knowledge by acquaintance وغير المباشرة knowledge about بالهوية الشخصيةpersonal identity:

يلعب التمييز بين المعرفة المباشرة و غير المباشرة دورًا مهمًا فى حديث وليم جيمس عن الهوية الشخصية personal identity ؛ لأن النبضة الحالية للذات أو للوعى present pulse of consciousness – التى سبق وقلنا عنها فى مثال الرعد أنها تجمع ما ندركه الآن وما أدركناه من لحظات وما سندركه بعد لحظات– هذه النبضة الحالية للوعى لكل أنا إنما تشعر بوجود نفسها وتعرفه معرفة مباشرة دون أن تعرف نفسها معرفة غير مباشرة ،ووليم جيمس يرفض وجود الفاعل أو الأنا خارج تيار الوعى فعليه أن يفسر كيف يكون التفكيرThought هو المفكرThinker؟

٦– التفكير هو المفكر Thought is the Thinker و الحاضر الخادع specious present:

يجيب وليم جيمس عن السؤال كيف نفسرالإحساس بالهوية الشخصية personal identity دون أن نقر وجود شيء وراء ما يظهر لنا مباشرة فى الاستبطان ؟

حيث نقول لا توجد أفكارنا بلا قيد ؛ لأن بعضها ينتمى لمفكر وليس للآخر، ونحن من يحدد هذا الانتماء ، وذلك بشعور القرب والألفة warmth and intimacy ،

فالفكرة التى نشعر معها بالقرب والألفة warmth تكون خاصة بنا mine وتنتمى لنفس الأنا ، أما الفكرة التى تبدو غريبة وتفتقر لشعور الألفة والقرب هذا فتنتمى لأنا أخرى غير نفسى .

ومن يقوم بالحكم بوجود هوية شخصية هو التفكير thought الذى يدرك وجود هوية بين النفس الحالية present self وبين نفس الأمس a self of yesterday ، والتفكيرلا يفكر فيهما فقط أى لا يضمهما معاً فقط – وهذه هى طبيعة التفكير – وإنما يحكم بأنهما فى هوية identical.

والنفس الحالية أشعر بها بشكل مباشر وأعرف مباشرة أنها تخصنى ، أعرف تفكيرى وأعرف جسمى ، وأى نفس أخرى بعيدة ماضية سوف أشعر معها بنفس الألفة warmth التى أشعر بها الآن فى جسمى وفى أفكارى سأعتبرها فى هوية مع نفسى الحالية ، فأستطيع أن أتصل بأحداث حدثت لى قريبًا أتذكرها تمامًا ، وأعرف كيف كان تفكيرى حينها ، وأشعر باتصال واستمرار وجودى خلال هذه الأحداث ، ومن ثم فالفكر يمكنه أن يعزل نفس اليوم ونفس الأمس عن النفوس الأخرى ؛ لأن بينها علامة مشتركة تجمعهم فى كل واحد رغم الاختلافات بينها ، " وسيضم الفكر thought هذه النفوس المتشابهه المتصلة للنفس القريبة الأليفة التى أشعر بها الآن داخلى بينما أفكر ، وسوف يفصلها جميعًا عن أى نفوس أخرى لا تملك هذه العلامة brand ، تمامًا كما يقوم مالك قطيع الماشية بعزل الماشية التى تحمل علامته المميزة his own particular brand عن أفراد الماشية الأخرى بعد أن تركت جميعها حرة طليقة فى البرارى الواسعة فى الشتاء و حان موعد جمعها"[45] .

ولكن هذه الوحدة بين هذه النفوس هى وحدة نوعية generic تخص هذه المجموعة وليست وحدة مطلقة ، فالنفوس الحاضرة والماضية بمقارنة الفكر لها يجدها واحدة لأنها فعلًا واحدة بها نفس الشعور بالجسم ونفس الشعور بالفكر رغم الاختلافات ، وإذا اختفى هذا التشابه وذاك الاتصال زال الإحساس بالهوية الشخصية " فلو استيقظ إنسان ووجد نفسه غير قادر على تذكر أى من خبراته الماضية لدرجة الحاجة لتعلم تاريخ حياته من جديد ، أو إذا وجد هذا الإنسان نفسه قادرًا فقط على تذكر

حقائق حياته بطريقة مجردة – دون أن يشعر أنه عاشها فعلًا أى دون أن يألفها in a colde abstract way–كأشياء هو على يقين أنها حدثت،أو إذا وجد ذلك الإنسان نفسه – وبدون أن يفقد ذاكرته– أن عاداته الجسمية والعقلية تغيرت أثناء الليل، وأن كل عضو من أعضائه أصبح يعمل بطريقة مختلفة ، وأصبح تفكيره يعى بنفسه بطريقة مختلفة ، فإن ذلك الإنسان سيشعر وسيقول إنه شخص آخر، وسيتبرأ من نفسه السابقة ويسمى نفسه باسم جديد ولا يطابق حياته الحالية بأى شىء من الزمن الأقدم"(46).

وتوجد الأنا ولكن هى نفسها التفكير Thought،فالتفكير هو المفكر Thinker عند وليم جيمس ، والأنا عنده هى النبضة الحالية للوعى ، و هى الحالة العقلية الحالية بكل ما تشتمل عليه أى بحاضرها مع اتجاهها نحو الماضى و اتجاهها نحو المستقبل – كما سيأتى بيانه – ومن ثم فالأنا حقيقية وليست شيئاً مثالياً ، ويمكن معرفتها بالخبرة لأنها تشعر feel بنفسها .

ويرى وليم جيمس أن النوع الوحيد من الهوية التى تؤيدها الحقائق facts هى الهوية الوظيفية functional identity "وليس لحالات الوعى بالأمس أو اليوم هوية الجوهر substantial identity ؛ لأنه عندما يكون أحدها موجوداً يكون الآخر قد مضى ، لكن لهذه الحالات كلها هوية وظيفية ؛ لأن كل منها يعرف نفس الأشياء ، وطالما أن الأنا المعروفة الماضية by–gone Me* هى أحد تلك الأشياء فإن كل من حالات الوعى اليوم وبالأمس سوف يستجيب للأنا المعروفة الماضية by–gone me بنفس الطريقة، ويدعوها خاصتى mine ، ويقابل بينها وبين الأشياء الأخرى التى يعرفها ، وتبدو هذه الهوية الوظيفية بحق النوع الوحيد من الهوية فى المفكر التى تتطلب منا الحقائق افتراضه"(47) .

والمفكرالحالى يملك ويخصص لنفسه appropriate الفكر السابق عليه ، أى أن الفكر المعروف السابق Me– thought يمتلكه الفكر المعروف الحالى ، و النفس المعروفة Me–self تكون موضوعًا للفكر مثل أى موضوع آخر وهكذا، فكل تفكير جديد يصبح مالكًا للفكر السابق ، وينتهى لأن يكون مملوكًا من قبل الفكر التالى ،

وهذا هو تيار الوعى ، والنواة الحقيقية للهوية الشخصية ليست هى الفكر؛ لأننا ليس لدينا معرفة بالتصورات عنه وإنما هناك نواة kernel يلتحم فيها knit on ويتراكم accrete عندها تلك النفس المعروفة وهو الجسم والعمليات الفسيولوجية التى تصاحب فعل التفكير ، "و نحن نفكر و بينما نفكر نشعر بجسمنا على أنه بؤرة التفكير seat of the thinking، وإذا كان التفكير هو تفكيرنا فيجب أن تغمره – فى كل أجزائه – هذه الألفة الخاصة التى تجعله يحدث باعتباره تفكيرنا as ours ، والألفة هى الشعور بوجود نفس الجسم القديم دائماً هناك "[48].

النفس إذن Self ليست مجموعة aggregate كل جزء فيها – من حيث وجوده – حقيقة منفصلة فهذا القول إهمال لجوانب أخرى دقيقة عن وحدة الوعى عند وليم جيمس ؛ لأنه إذا كان مالك قطيع الماشية يرمز لنبضة الفكر pulse of thought التى تقوم بحكم الهوية على نفس اليوم ونفوس الأمس ، وإذا كانت علامة هذا المالك المميزة brand ترمز للألفة والاتصال الذى يصدر حكم الهوية بسببه ، فإن الماشية تحمل علامة المالك لأنها تخصه وليس العكس ، أى هى لا تخصه لمجرد حملها علامة المالك ، ومن ثم لدى النفوس أيضاً مالك حقيقى real proprietor هو مركز التجاذب و التراكم center of accretion وهو ليس من بينها ، وهو الذى يخصص لنفسه ويمتلك بعض أجزاء الحقائق أو الأفكار التى يفحصها ويترك الباقى على أنها لا تخصه .

ويوجد مالك وهو لا يزول أبداًnever lapsing ownership ، لكن لا بمعنى الجوهرالثابت أو الأنا الترانسندنتالى transcendental ego وإنما بمعنى مرحلى temporary ، حيث نجد أن ما يظل دائماً حاضراً present إنما هى نبضة الفكر الحاضرة التى تخصص لنفسها النفوس الماضية وتتملكها ، إنها الفكر المتذكر المتملك الذى يتم تجديده بشكل مستمر، وهو مرحلى temporary ؛ لأن كل أنا أو كل نبضة من نبضات الوعى ستقوم بوظيفة الفاعل ، فترى كل أنا ماضية خاصتها its mine و تمتلكها هى وأفعالها ، وذلك إلى أن تسلم لقبها its title للنبضة التى تليها .

"وتتلاشى كل نبضة للوعى الإدراكى وكل فكرة وتحل محلها أخرى ، وهذه تعرف سابقتها من بين الأشياء التى تعرفها وتجدها قريبة منها ، و تقول "أنتى خاصتى وجزء من نفس الأنا معى"، وكل فكر لاحق من حيث يعرف الفكر thoughts السابق عليه يكون هو الوعاء الأخير ، ومن حيث هو يملك كل الفكر السابق عليه يكون هو المالك الأخير لكل ما يحويه ويملكه كل فكر سابق عليه، ومن ثم فكل فكر يولد مالكاً و يموت مملوكاً"[49].

وهذه الطبيعة المؤقتة للنبضة الحالية للوعى لا تجعلها أقل حقيقة من أى فاعل، والأنا أوالنبضة الحالية للوعى تشعر بوجودها بطريقة المعرفة المباشرة ، فليس لديها تصورات عن نفسها ، " ولا نعرف عنها أى معرفة غير مباشرة know about it إلى أن تموت"[50] ، وهى إن لم تكن شاعرة بوجودها لما تمكنت من امتلاك appropriation الأجزاء الماضية من الوعى ، ولما رأت أنها قريبة لها ، وتخصها its mine، يقول وليم جيمس: "و المفكرين المتتابعين successive thinkers وهم متميزون عدديًا، ويعى كل منهم بالنفس الماضية بنفس الطريقة ، إنما يشكلون أداة ملائمة لكل خبرة بالهوية الشخصية التى نملكها بالفعل ، ومثل هذه السلسلة من المفكرين المتتابعين هى بالضبط تيار الحالات العقلية التى على علم النفس بوصفه علماً طبيعياً أن يفترضها "[51].

ومن ثم لتفسير الإحساس بالهوية الشخصية لا نحتاج لافتراض أى فاعل agent بخلاف تتابع الأفكار التى تتلاشى والتى منحت وظائف الامتلاك و الرفض ، والتى يمكن أن يعرف بعضها ، و يملك أو يرفض أشياء معروفة و مملوكة أو مرفوضة [52] أى يعرفها كل فكر سابق عليها ويملكها أو يرفضها.

والتركيب الزمنى temporal structure للوعى هو ما يسمح بالامتلاك الحى لكل نبضة للوعى pulse of consciousness من قبل من يليها.

وإذا كان الوعى مؤلفاً من إحساسات وأفكار منفصلة كحبات فى خيط ، فستكون النتيجة أن لن نتمكن من إكتساب الخبرة ، إذ ليس لدينا إلا معرفة بالإحساس الحالى، وفى اللحظة التى سينتهى فيها هذا الإحساس سيذهب إلى الأبد، و حتى لو ترابطت

الأفكار فمع حلول فكرة ثانية ، فستذهب الأولى للأبد أيضًا ، وإذا حاولنا التحدث بطريقة مفهومة معقولة فلن نعى إلا بالكلمة التى نحن بصدد نطقها .. إلخ ، إذن يتضح استحالة الحياة العملية مع هذا الفرض أى "إذا تقلص الوعى لحجم شرارة ضئيلة لا تنير إلا النقطة التى تغطيها فقط"، [53] و لكننا نحيا الوعى كتيار لا شق فيه ولا تجزئة ولا فجوات ، ويعنى اتصال الوعى أنه يعمل كتيار وكنهرمتصل وأنه ليس سلسلة ذات حلقات تم توصيلها ببعضها البعض إنما هو اتصال بلا تقطع .

والحاضر الخادع specious present يحتفظ retention بالماضى القريب فى الحاضر الحى ، وهذا ما يمكننى من الاتصال المباشر بالماضى ، والتأمل فى التيار الماضى للخبرة ، كما أن الحاضر الخادع هو ما يمكننا من الشعور بالهوية، لأن الأخير يتطلب الخبرة بالمدة ، والماضى لكى يُدرَك كماض يجب أن يُدرَك مع الحاضر وخلال اللحظة الحاضرة ، وبالتالى فالهوية تتطلب التركيب الزمنى للوعى واتصاله الذى يتضح فى الحاضر الخادعspecious present .

وفى هذا التيار تتحد المعرفة بالشىء الحاضر– فى نظر وليم جيمس –دائماً بالمعرفة الخاصة بجزء آخر من تيار الوعى ، هو جزء ماض أو مستقبلى ، فاللحظة الحاضرة ليس نقطة للزمن لأن لها ثخانة " و باختصار ليس الحاضر المدرك فعلًا حد سكينknife–edge ، لكن سرج ظهرsaddle–back، باتساع معين ، خاص به نجلس عليه وننظر منه فى اتجاهين للزمن ، والوحدة التى يتركب منها إدراكنا للزمن هى المدة ذات المقدمة والمؤخرة ، وكأنها تنظر لنهاية للأمام و نهاية للخلف "[54].

والحاضر الخادع "وهو تلك المدة التى تمثل أقصى مدى يمكن أن نعى فيه مباشرة بالانطباعات المتتابعة"[55] حدده العلماء باثنى عشرة ثانية، فنحن فى اثنى عشرة ثانية يمكن أن ندرك مباشرة أحداث متتابعة فى مدة زمنية جملة واحدة ، وبفعل انتباه واحد ، ولأنها أحداث متتابعة ففيها قبل وبعد.

"والحاضر الخادع إطار ثابت"[56] ، إنه الجمع باستمرار بين ماض يتلاشى الآن فعلًا ومستقبل يبزغ فى نفس الآن بالفعل ، و الإطار ثابت رغم تغير الأحداث فيه حيث يحوى الحاضر الخادع تغير متواصل أى أحداث يبزغ طرفها الأمامى بنفس

سرعة خبو طرفها الخلفى ، وكل من هذه الأحداث يغير مقياسه الزمنى من (لم يحدث بعد) أو (لم يحدث بعد تماماً) إلى (مضى لتوه) أو (مضى)، وذلك بينما هو يمر.

وإذا طبقنا مفهوم الحاضر الخادع هذا على مثال سماع قصف الرعد فجأة بعد فترة من السكون وجدنا أن ما ندركه عندما يقصف الرعد ليس هو الرعد فقط، وإنما الرعد مع ما سبقه منذ لحظة (أى السكون) مع توقع ما سيبزغ بعد لحظة من قصف الرعد (وهو استمرار صوت الرعد) ، وقد عبر وليم جيمس عن ذلك الموضوع بأنه : (الرعد – يخرق – السكون – و – يتعارض – معه) وذلك للدلالة على وحدة الفعل ، فرغم أن السكون قد مضى فى الزمن الخارجى الموضوعى فإن وصف الشعور بالرعد على ذلك النحو يعنى أن الماضى يُحتوى فى الحاضر، وأن هذا الاتصال الذى نشعر به بشكل غير واضح من الماضى للحاضر هو أساس اعتقاد وليم جيمس باتصال الخبرة الذى هو سمة لها على نحو ما تظهر لنا فى الاستبطان.

إن موضوع الوعى عند سماع قصف الرعد هو حاضر خادع مؤلف من (ما مضى لتوه) مع (الجديد لتوه) أيضاً " لذلك يختلف إدراكنا للرعد فى هذه الحالة تماماً عما سيكون عليه وعينا إذا كان الرعد استمراراً لرعد سابق ، و الشعور بالرعد فى حالتنا هو أيضاً شعور بالسكون على أنه مضى منذ لحظة ، ومن الصعب أن نجد فى الوعى الفعلى للإنسان فعل شعور منحصر فى الحاضر فقط دون إلماح لشىء مضى قبله".(57)

ويؤكد وليم جيمس على اتصال الماضى والحاضر والمستقبل فى تيار الوعى بفضل الأجزء الانتقالية له ، و فى حالة مثال الرعد لدينا ثلاثة أفعال متداخلة : الأول فعل شعور بالسكون والثانى فعل الشعور (بالرعد و–هو– يخرق– السكون) ، والثالث فعل الوعى بالرعد وحده ، وفى الفعل الأول ندرك الرعد بشكل غير واضح فى حاشية الفعل الأول نفسه ، لأننا سبق وكان لدينا خبرات عديدة بخرق الرعد للسكون ونعلم مقدماً إمكانية أن يحدث أى صوت عالٍ فجأة بعد السكون .

وفى الفعل الثانى ، ووليم جيمس لم يستبعد أن تكون العلاقة ذاتها موضوعًا دائما نتأمل فيها فى فترات التوقف النسبى ، نجد أن بؤرة الوعى التى نركز عليها topic

هى التباين بين السكون والرعد ، ويتضمن الجزء الانتقالى لهذا الفعل إدراك الفعل الأول (الوعى بالسكون) كأثر متلاش لفعل سابق " حيث يجب أن يتحد مع الشعور بالشيء الحاضر فى كل زمن الأثر المتلاشى echo fading لكل تلك الأشياء الأخرى التى قدمتها الثوانى القليلة السابقة " ؛ لأن علاقة السكون بالرعد هنا لم تبق مجرد إمكانية وإنما تحولت إلى واقع فعلى ، فأنا أنتقل فعلاً من وعى بسكون لوعى بالرعد ، كما يتضمن الفعل الثانى أيضا فى حاشيته إدراك الفعل الثالث على أنه توقع لفعل لاحق للوعى .

الخاتمة و النتائج:

حوى كتاب وليم جيمس "مبادئ علم النفس" عديداً من التقارير و الملخصات لنظريات واكتشافات لعلماء نفس آخرين، وهذا ليس جديداً، إنما الجديد فى الكتاب هو ما كانت له أهمية فى فكر وفلسفة وليم جيمس التالية ([58])،ومنها موضوع هذا البحث الذى مهد لنظرية وليم جيمس عن الواحدية المحايدة Neutral Monism (رد العقل و المادة للخبرة الخالصة Pure Experience)، خاصة ما ورد فى البحث عن الخبرة المباشرة وإقرار وجود الوعى بالعلاقات .

لقد انتقد وليم جيمس التجريبيين السابقين عليه ومنهم هيوم؛ لأنهم رأوا الحياة العقلية مؤلفة من إحساسات ذرية منفصلة ،ثم وجدوا أنفسهم بعد ذلك غير قادرين على إعادة تركيب وحدة الوعى من تلك العناصر المنفصلة ما اضطر هيوم لإدخال تصور النفس خلسة بعد رفضه لمثل هذا الموجود، بينما كان الوعى متصلاً عند وليم جيمس، والحاضرعنده لا يفصل الماضى الذى لم يعد موجوداً عن المستقبل الذى لم يوجد بعد ؛لأن تذكر السكون السابق على صوت قصف الرعد مستمر كجزء فى إدراك صوت الرعد،كذلك يؤلف توقع استمرارسماع صوت الرعد جزءاً فى فعل سماع صوت الرعد الآن، وثلاثتهم يتداخلون فى وحدة بلا انفصال .

وإلى جانب عدم الاتساق هذا عند هيوم فإنه قد خلط الحقيقة الفعلية للخبرة بالتصورات ،أى خلط المعرفة المباشرة بالمعرفة الغير مباشرة ،فاعتبر الفكرة من أفكارنا لابد أن تكون مركبة من عناصر عديدة إذا كان موضوعها يحوى عناصر عديدة.

لقد اعتبر هيوم العقل حزمة أو مجموعة من إدراكات مختلفة، تتبع بعضها بعضاً بسرعة لا يمكن تخيلها، وهذه الإدراكات فى حركة و تغير دائمين ،وثبت هيوم هذه الحركة الجارية ،وقسمها لأجزاء،وركز على هذه الأجزاء دون أن يعى بالجريان نفسه؛ لأنه استخدم لغة الأشياء وهى التصورات لا لغة الخبرة الحية وهى المعرفة والخبرة المباشرة .

فنحن نستخدم مفردات الأشياء الخارجية vocabulary of outward thing ، فكلمات مثل بارد و حار و أزرق، قد تستخدم بشكل موضوعى objective للإشارة للشيء، أو بشكل ذاتى subjective للإشارة للإحساس ، لكن المعنى الموضوعى هو المعنى الأصلى لذلك نسمى عدداً كبيرًا من الإحساسات باسم الأشياء التى حصلنا منها على الإحساس ، فنقول لون البرتقال orange color وصوت رعدى thunderous sound...إلخ ، ونتيجة تسمية الإحساس باسم الشىء تصور التجريبيون الفكرة نسخة مطابقة replic للشيء.

ففى كتابه "رسالة فى الطبيعة الإنسانية ATreatise on human nature" ١٧٣٩ أكد هيوم أن كل إدراكاتنا المتميزة هى موجودات متميزة ،وأن العقل لا يدرك أى علاقة حقيقية بين هذه الموجودات المتميزة ،فالانطباع عند هيوم لا يحتاج لغير ذاته لكى يوجد ،حيث أن كل إدراكاتنا مختلفة عن بعضها البعض وعن أى شيء آخر فى الكون فهى متميزة و قابلة للفصل ويمكن دراستها كموجودات منفصلة ([59]).

وتلك الأجزاء التى يعى هيوم بواسطتها بجريان حياته الواعية هى المدركات أو المحتويات المختلفة للوعى ،وهى ما يقسمه هيوم لانطباعات Impressions وأفكار Ideas،فالآن ندرك انطباع ثم فى مرحلة تالية يتحول هذا الانطباع لنسخة باهتة وواهنة faint copy ؛لأن المؤثر الذى سبب الانطباع لم يعد موجودًا،وبالتالى الآن ندرك مثلًا الانطباع (أ) ثم فيما بعد ندرك الانطباع(ب) مع فكرة عن (أ)، و بتغير المحتوى المُدرَك من (أ) إلى (ب) مع فكرة عن (أ) يستنتج هيوم حركة فى تيار الوعى، وذلك مع استقلال الفكرة عن (أ) عن الانطباع (ب) ، أى مع عدم تقيد الانطباع (أ) بطبيعته بالانطباع (ب)، اذ قد يصحب (ب)(أ) أو لا يصحبه ،و هذا لا يؤثر فى

طبيعة (أ)، وكل من (أ) و (ب) مكتفٍ بذاته ، و السياق الذى ظهر فيه لا يؤثر فى طبيعته [60] ⋆.

ومن يستنتج هيوم جريان الوعى من اختلاف و استقلال المحتويات فى الوعى،فنحن نفهم الأشياء فى العالم على أنها متميزة زمنيًا ، تمر أمامنا فى سلسلة ، لكن إذا نظرنا لهذه الأشياء بشكل ذاتى، أى كجزء من تيار الوعى فهى تبدو فى عملية زمنية متصلة ، وبالتالى فالانفصال بينها– وهى فى العالم الخارجى – يختلف عن التداخل إذا نظرنا إليها كحقيقة ذاتية، وهناك طبيعة زمنية للخبرة تحتاج لتزامن اللاحق مع السابق حتى ندرك الحركة و التتابع .

ولو توقف كل من لوك وهيوم عند الوعى على نحو ما يظهر نفسه فى الاستبطان لوجدا أن الإحساسات باعتبارها حقائق ثابتة يمكن أن تتكرر أمر مستحيل ،وأن "الخبرة تعيد صياغتنا فى كل لحظة ، واستجابتنا العقلية لشيء هى نتيجة خبرتنا بكل العالم حتى ذلك التاريخ "[61]، ولوجدا أن أفعال وعى لاتوجد وهى مفتتة atomistic منعزلة على طريقة الأفكار البسيطة simple ideas عند لوك أو الانطباعات البسيطة simple impressionعند هيوم، وأن هذه وتلك مجرد تجريدات abstractions لا وجود لها فى الخبرة الحية .

الهوامش و المراجع:

* وليم جيمسWilliam James (١٨٤٢-١٩١٠) فيلسوف أمريكى ورائد من رواد علم النفس، يعد كتابه"مبادئ علم النفس"عام ١٨٩٠"Principles of Psychology "أهم كتاب ظهر فى علم النفس في نهاية ق١٩، وقد اعتبروليم جيمس من أهم البرجماتيي ، ونشر له بعد وفاته "بعض مشكلات الفلسفة" Some problems of Philosophy " عام١٩١٠ ، و" مقالات في التجريبية الأصيلة Essays in Radical Empiricism " عام ، ١٩١٢ والأخيرة يذهب فيها إلى وجود مادة أصلية واحدة هى الخبرة الخالصة Pure Experience التى يتألف منها العقل و المادة معا.

(1) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). New York: Henry Holt and company. p. 239.

* جون لوك John Locke (١٦٣٢-١٧٠٤) فيلسوف انجليزى تجريبى،أحد أوائل التجريبيينempiricists الانجليز ، أهم كتبه :" مقال فى الفهم الإنسانى"١٦٨٩ "An essay concerning Human Understanding".

(2) Ibid. p.230.

(3) Ibid. p.196 راجع.

(4) Ibid. p.231.

(5) Ibid. pp.185-186 راجع .

* ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦) فيلسوف اسكتلندى و رجل اقتصاد وسياسى و مؤرخ، له كتاب " رسالة فى الطبيعة البشرية a treatise on human nature" ١٧٣٩، انتقد العلية causality كفكرة قبلية وقال عنه كانط (١٧٢٤-١٨٠٤)أنه أيقظه من سباته الدجماطيقى .

* للتفكير خمس سمات عند وليم جيمس هى أنه ينتمى لوعى شخصى personal، وأنه متصل continuous ، كما يتميز التفكير بكونه متغيرًا changing، وإدراكياً cognitive ، وانتقائياً selective، وقد ركز البحث على السمات الأولى و الثانية و الرابعة.

والوعى متغيرchanging فلا إحساس يمكن أن يعود بحيث يكون مطابقاً لما كان عليه من قبل ، فهناك حقائق تؤكد أن قدرتنا على الإحساس تتغير دائما (فهى فى اليقظة غيرها مع النعاس، وفى الجوع غيرها مع الشبع،و مع النشاط غيرها مع الإجهاد) ، وبالتالى فنفس الشيء لن يسبب فينا نفس الإحساس مرة أخرى ، كذلك يرتبط كل إحساس بفعل دماغى معين وموجات

عصبية معينة ولكى يتكرر الإحساس يجب أن يحدث فى المرة الثانية مع دماغ لم يتغير وهذا مستحيل فسيولوجيًا ، و استجاباتنا العقلية لكل شىء هى نتيجة لخبرتنا بكل العالم حتى هذه اللحظة ، من ثم فكل فكرة لنا عن حقيقة معينة تكون فكرة فريدة تحمل مجرد تشابه فى النوع مع الأفكار الأخرى عن هذه الحقيقة ؛لأنها تدرك هذه المرة فى ظل علاقات جديدة ،إنها فكرة عن هذه الحقيقة-فى ظل- هذه العلاقات A thought of it-in-those-relations ، وهى فكرة تتاثر بكل خبراتنا السابقة بما فى ذلك خبرتنا بهذه الحقيقة نفسها.

كما أن الوعي انتقائي selective فقد وجد وليم جيمس أن الوظيفة الرئيسية للوعى هى أن يختار، وكتب :" يهتم الوعى دائما بجانب للموضوع أكثر من الجانب الآخر ، و يرحب و يرفض أو يختار طيلة وقت تفكيره ، فالوعى يخلق ويخدم أهداف الكائن الحى ، وأولها البقاء خلال التكيف مع البيئة ، و التكيف ليس سلبيًا ؛ لأن الوعى يختار ويعمل دائمًا نحو هدف ، و التيار المستمر للاختيارات يؤثر فى الإدراك و السلوك ، والعقل يعالج المعطيات التى يستقبلها كما يعالج النحات كتلة الحجر ، وهو ليس سلبيًا ؛ لأنه يجاهد من أجل غايات.

راجع:. Ibid. pp. 225ff.

*الغموضvagueness فكرة قديمة فى الفلسفة دخلت عن طريق مفارقة كومة الرمل Sorites paradox وهى تعنى أنه إذا كانت حبة رمل واحدة لا تؤلف كومة heapمن الرمل ،أى أن إضافة حبة رمل إلى شيء ليس كومة لن يحوله لكومة ،واستمرار إضافة حبات الرمل سينتج فعلاً كومة رمل رغم أن أى عدد من الحبات تتم إضافته لن يؤلف كومة لأن كل منها لا تؤلف كومة.

والتصور كومة غامض مثل تصورات أصلع ، أحمر ،صغير ،كبير ،طويل، غنى ،قوى ضعيف، فقير....إلخ لم تحدد عدد حبات الرمل اللازمة لوصف الشيء بالكومة ولم تحدد عدد الشعرات التى يتحول عندها الشخص لشخص أصلع ، و فى الميتافيزيقا المعاصرة هناك اهتمام بموضوع الغموض وعدم التحديد مع وجهتين للنظر: الأولى هى الوجهة السيمانيطيقية semantic التى ترى عدم التحديد راجع لغموض مضمون التصور،مثلاً بالنسبة لشيء ما (أ) لا يكون محدداً إن كان(أ) يتصف بـ (ع) أو لا يتصف بها لغموض التصور (ع)، أما الثانية فهى وجهة النظر الميتافيزيقية التى ترى عدم التحديد راجع لغموض أشياء معينة ،وفى هذه الحالة يكون عدم تحديد إن كانت (أ) تتصف بـ (ع) أو لا تتصف بها أمر مستقل عن تعريفنا للتصور(ع)، حيث يرجع عدم التحديد هنا لغموض (أ) نفسها.

* سبق وليم جيمس الفيلسوف الانجليزى ومؤسس الفلسفة التحليلية فى بداية القرن العشرين برتراند رسلBertrand Russell(١٨٧٢-١٩٧٠) فى التمييز بين المعرفة المباشرة و المعرفة غير المباشرة أو المعرفة بالوصف ويرتبط التمييزعند رسل بالمعطى الحسى والمعطى الحسى Sense datum هو ما يُعطَى للحواس ،ويتألف مما نعى به مباشرة قبل القيام بأفعال مثل الاستدلال والحكم وتقرير وجود أشياء أو صفات أمامنا، ففى الرؤية مثلاً: يظهر اللون كبقعة لون، وعليه فإذا كنت أنظر لمنضدة بنية اللون أمامى، وعليها قاعدة كوب بيضاء ،فإن المعطى الحسى يظهر كبقعة بنية تمتد بقدرالامتداد البنى فى مجال رؤيتى مع بقعة بيضاء دائرية الشكل،و على أساس تلك المعطيات أؤكد حضور شيء بنى اللون وآخر أبيض اللون أمامى، أو أؤكد حضور النضدة و قاعدة الكوب.

ويقسم رسل معرفة الأشياء إلى نوعين : معرفة مباشرة knowledge by acquaintance ومعرفة بالوصف knowledge by description ،ونحن نحصل على المعرفة الأولى مباشرة بالخبرة بدون توسط أى عملية للاستدلال أو أى معرفة بالحقائق ، مثلاً لدى معرفة تامة كاملة بلون المنضدة امامى وبباقى المعطيات الحسية التى الأخرى التى تؤلف مظهر هذه المنضدة، كالصلابة و الشكل و النعومة، وهى معرفة تامة كاملة لأن معرفتى بالحقائق عن أحد تلك المعطيات كاللون مثلاً، وأنه بنى أو داكن لحد ما ،لن تجعل معرفتى أفضل من المعرفة التى أحصل عليها بالخبرة المباشرة بالشيء عند رؤيتى له ،ومن ثم كانت المعرفة المباشرة مستقلة منطقياً عن معرفة الحقائق،بينما تتضمن المعرفة بالوصف دائماً معرفة بالحقائق كمصدر و أساس لها، أى بالحقائق التى نعرفها عن الأشياء التى لدينا بها معرفة مباشرة مثل اللون فى حالة المنضدة المشار إليها وأنه بنى، وأنه داكن .

ولا توجد حالة عقلية- عند رسل - نعى فيها مباشرة بالمنضدة كشيء مادى، وكل معرفتنا بها هى معرفة بالحقائق المرتبطة بالأشياء التى لدينا عنها معرفة مباشرة ؛ لأن المعطيات الحسية لا يمكن الشك فيها ،والمنضدة توصف بأنها ما يسبب هذه المعطيات الحسية ، ولا تقتصر المعرفة المباشرة عند رسل على المعرفة بما هو حاضر أمامنا ولدينا عنه خبرة مباشرة انما تمتد للمعرفة المباشرة بالذاكرة وما سبق وكان حاضرا لخبرتنا كذلك تمتد المعرفة المباشرة للاستبطان أى المعرفة و الوعى بوعينا بالأشياء.

راجع فى ذلك:

Sense Data.(2021). In *Stanford Encyclopedia of Philosophy*. Retrieved from https://plato.stanford.edu/entries/sense-data/#TermConc

Russell, B., (1918).The problems of philosophy. New York: Henry Holt and company. pp.73-75.

(6) James, W., (1892). *Psychology: briefer course*. New York: Henry and Company. p.1.

(7) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.185.

(8) Ibid, p.226.

*هذه النفس ليست مختلفة أساساً عن أى شيء نجده فى مسيرة الأفكار المتغيرة، فهى ليست جوهرا ثابتًا permanent substance وراء تيار الأفكاركما سيتضخ انظر ص٢٢ من البحث.

(9) James. W., op.cit.

(10) Ibid. p.331.

(11) Ibid. pp.237.

(12) Ibid. pp.278.

(13) Ibid. pp.238.

(14) Ibid. pp.239.

(15) Ibid. pp.240.

(16) Op.cit.

(17) Op.cit.

(18) Ibid. pp.241.

(19) Ibid. pp.254.

(20) Ibid. pp.243.

(21) Ibid. pp.244.

(22) Bailey, A.R., (1999). Beyond the fringe: William James on the transitional parts of the stream of consciousness. *Journal of consciousness studies* .*6*(2-3), 141-153.

(23) James, W., Ibid, pp.244-245. راجع .

(24) Ibid. pp.245.

*يسمى وليم جيمس حاشية الوعىFringe" بالمعنى الاضافى" overtone وهو ما يشبه النغمة الفوقية التى تصاحب النغمة الأصلية الصادرة من أى آلة موسيقية ، فنفس النغمة يمكن أن تعزف من كل الآلات الموسيقية ، ومع ذلك يختلف الصوت فى كل منها ، وذلك بسبب هذه النغمات الفوقية الأعلى التى تصاحب كل نغمة ، وهى نغمات لانسمعها بشكل منفصل عن النغمة الأصلية وإنما هى مندمجة فيها ، و كما لا تنفصل النغمة الفوقية عن النغمة الأصلية فكذلك لا ينفصل الشعور بحاشية الوعى عن الشعور بالفكرة ذاتها.راجع Ibid,258

(25) Ibid. pp.249-250.

(26) Ibid. pp.251.

(27) Ibid. pp.251-252.

(28) Ibid. pp.254.

(29) Ibid. pp.255.

(30) James, W., (1892).*Psychology: briefer course*. p.6.

(31) Linschoten, H., (1968). *On the way toward a phenomenological psychology: the psychology of William James.* Pittsburgh: Duquesne university press.pp.154-155.

(32) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.258.

(33) Ibid. pp.258-259.

* لتوضيح كيف تتداخل الصور وتنحل لبعضها البعض دون فاصل يمكن الرجوع للفيديو التالى:

Florencefst. (Jan.29, 2014). Dissolving view apparatus {video file}.Retrieved from:

https://www.youtube.com/watch?v=aRf8CXOHrn4

(34) Ibid. pp.281-282. راجع.

(35) Ibid. p.272.

* وليم جيمس أن نظرية الأفكارtheory of ideas عند لوك تتبنى المنهج التركيبى synthetic method ، فتبدأ من الأفكارالبسيطة simple ideas للإحساس sensation، ثم تمضى لتركب منها الحالات العقلية الأعلى، بالترابط association ، أو بتجميع integration الأفكار البسيطة مع بعضها البعض ، أما هو فيبدأ دراسته التحليلية analytic للوعى من الحقائق الواقعية التى لدينا ألفة بها وحينها لم يجد البداية مع الاحساس إنما مع الظروف الفسيولوجية التى تؤدى للإحساس وهو كما قال :"لن يتخلى عن رأيه فى توازى و توافق corresponds العقل مع الدماغ فيما تبقى من كتابه" مبادئ علم النفس". Ibid. p.177

(36) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.II). pp.1-2.

(37) Op.cit.

(38) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.221.

(39) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.II).p. 3-4.

(40) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.222.

(41) Op.cit.

(42) Ibid. p.221.

(43) Ibid. p.241.

(44) Ibid. pp.275-276 .

(45) Ibid. p.333 .

(46) Ibid. p.336 .

(47) James, W., (1892).*Psychology: briefer course*. P.202-203.

*يميز وليم جيمس بين شخص موضوعى objective person يُعرَف، وبين التفكير Thought الذى يعرف : الأول هو الشخص التجريبى empirical person الذى يسميه Me والثانى هو التفكير الذى يحكمjudging thought بهوية الحالات الماضية (المتذكرة remembered) والحالات الحالية (المعيشة)، ويسميه I، وكليهما بعد للنفس لا يوجد بعيداً عن النفس ككل.

(48) Ibid. pp. 241-242.

(49) Ibid. p.339.

(50) Ibid. p.341.

(51) James, W., (1892).*Psychology: briefer course*.p.203.

(52) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.342.

(53) Ibid. p.606.

(54) Ibid. p. 609.

(55) Ibid. p.612.

(56) Hoy, D.C., (2009). *The time of our lives*.Cambridge, Massachusetts :(The MIT Press). P.46.

(57) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.334.

(58) Peter Ford, M., (1982). *William james's philosophy:A new perspective*. Amherst: The University of Massachusetts Press.p.9.

(59) Ibid. pp.11-12.

(60) Gurwitsch, A., (2009). *The collected works of Aron Gurwitsch*. (vol.II). London: Springer.pp.341-343.

*ويرى هيوم يرى أن العقل مؤلف من كثرة متميزة من الأفكار تستدعى الواحدة منها الأخرى فتترابط فى وحدة ، فإذا كان لدينا الفكرة أ استدعت الفكرة ب فأصبح لدينا (الفكرة أ + الفكرة ب) أو(الفكرة أ و الفكرة ب) وكأن (مربع أ +مربع ب يساوى مربع أ ومربع ب) بينما لو كانت (أ هى ٢) و(ب هى ٣) كان (مربع أ +مربع ب هو ٤+٩=١٣) بينما (مربع أ و مربع ب = مربع ٥ وهو ٢٥)، و هناك فرق بين" فكرة أ و فكرة ب" من جهة، وفكرة " أ +ب " من جهة أخرى: فالأولى هى فكرة واحدة ، ومن يعرف منها (أ) سوف يعرف (ب)، أما الثانية ففكرتان، ومن يعرف (أ) ليس من الضرورى أن يعرف (ب)، إنهما فكرتان منفصلتان لا يمكن أن يشكلا فكرة واحدة ، وأصحاب ترابط الأفكار ينتقلون من الأولى للثانية دون مبررمنطقى .

(61) James, W., (1890). *Principles of Psychology*. (vol.1). p.234.

Continuity of consciousness in William James's Principles of psychology

Abstract

The primary datum which William James found in experience was that "Consciousness of some sort goes on and states of mind succeed each other", then he listed five characteristics of the process of thought:

1-that it is a part of a personal consciousness.

2-that it is changing.

3- that it is continuous.

4- That it deals with objects which are independent of itself.

5-that it is interested in some parts of its objects excluding other parts.

With the third one William James distinguished himself from the British empiricists who believed thought is composed of separate independent parts and is not a sensibly continuous "Stream" with no division or break or crack as William James depicted it.

With the notions of the transitive states, substantive parts, the Fringe , and knowledge by acquaintance and knowledge about, William James introduced his analysis of consciousness comparing it with the flight of a bird.

Consciousness is continuous and according to the first characteristic of thought, it is a part of personality and every thought has its own brand, has its own objective and its own subjective aspect simultaneously.

With the first aspect it is known by the second one, without and need to a substantial self or a transcendental ego. Self is nothing more than our experiences .when these pass they become objects for the present thought who appropriates them , but he will be had by his successor.